منذر مصري

بشر وتواريخ وأمكِنة

Jidar
Culture & Publishing

بشر وتواريخ وأمكِنة

الكتاب: **بشر وتواريخ وأمكِنة**

المؤلف: منذر مصري

شعر

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الثانية: 2026

الترقيم الدولي: **978-1-291-62721-3**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

شعراء. سلسلة شعرية تصدر عن دار **جدار** للثقافة والنشر وتُعنى بنشر قصيدة النثر. يشرف على إصدارها عبدالله الريامي و**خلف** علي الخلف وحامد بن عقيل.

People, Dates & Places

Author: Monzer Masri

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

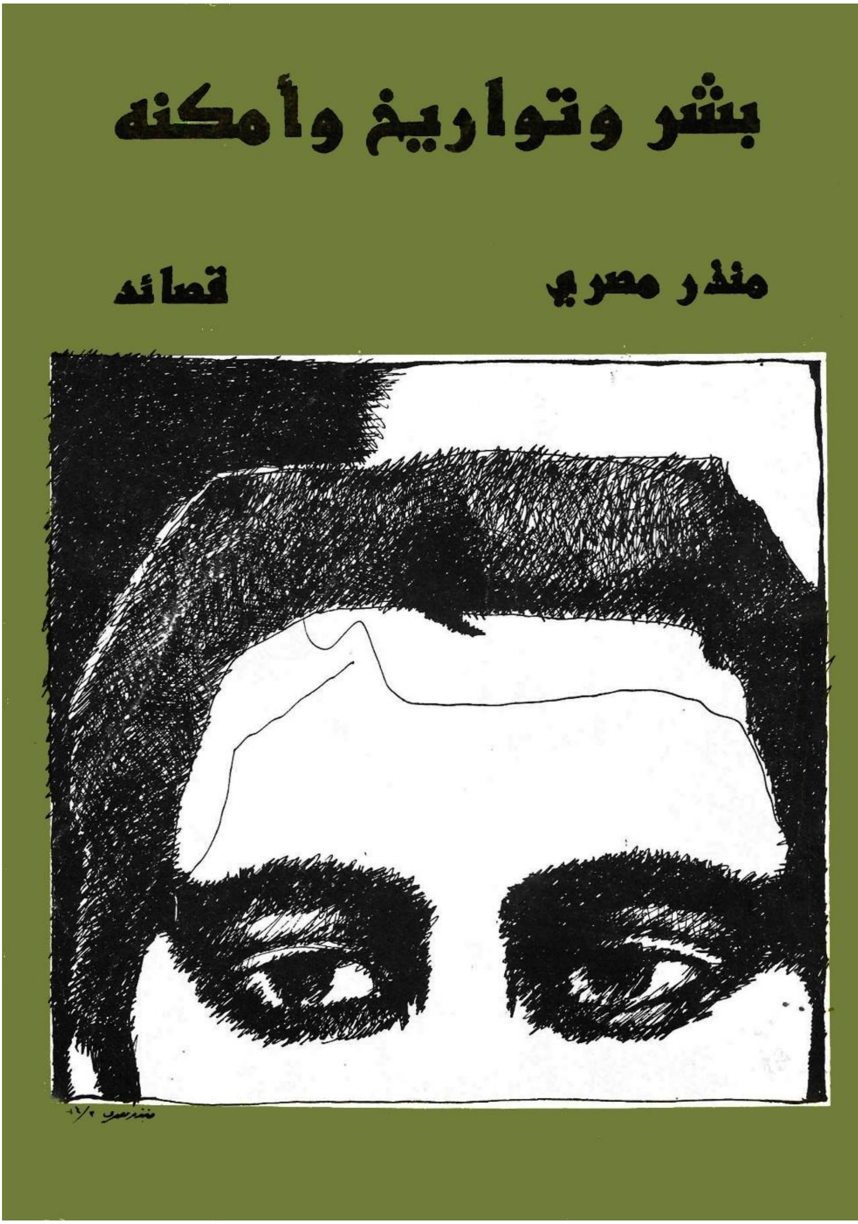
Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions.

ISBN: 978-1-291-62721-3

منذر مصري

بشر وتواريخ وأمكِنة

شِعر



غلاف الطبعة الأولى 1979

إلى خالديَّة

منذر مصري خط أحمر

«بشر وتواريخ وأمكنة» وعبور امتحان الزمن

قرأت منذر مصري باكرًا، في المرحلة الثانوية على الأرجح. كنت، مثل كثيرين من أبناء الرقة التي على الفرات، لا نملك في ذلك الوقت من مباهج الدنيا سوى الخروج إلى النهر، والقراءة، وشراء الكتب زهيدة الثمن التي كانت تصدرها وزارة الثقافة.

حين أتيت جامعة حلب، متأخرًا إلى شعرائها في ملتقاها الأدبي، وجدت اسم منذر مصري رائجًا إلى جانب شعراء آخرين ذكرهم منذر في مقدمة هذه الطبعة من «بشر وتواريخ وأمكنة». لم يشكل هو، ولا أولئك، أي هاجس لي يدفعني إلى تبني تجربتهم، فقد كنت في مكان آخر. لم أكن أجهل قصيدة النثر العربية، بأعلامها، وحتى مجهوليها؛ فمنذ المرحلة الثانوية كان معلمي الراحل عبد اللطيف خطاب يزودني أسبوعيًا بمختارات من كتبهم، إلى جانب الدراسات والتنظيرات النقدية، فأعيدها إليه في الأسبوع التالي وأستلم غيرها.

غير أن منذر بدا لي مختلفًا عن الآخرين، ولا أدري إن كان هذا الإحساس قد تشكل من القراءة الباكرة أم جاء لاحقًا، فلم تكن قصيدته بسيطة، وإن بدت كذلك لأول وهلة. منذر لم يبسط القصيدة حتى تفقد مجازها كما فعل كثير من مجايليه، ولم يغرقها في الغموض كما فعل آخرون، بل جعلها أكثر تعقيدًا كلما بدت

أبسط. فقد مضى كثيرون ممن رفعوا راية قصيدة النثر إلى تبسيط القصيدة إلى حدِّ الهذر اليومي، وأحيانًا إلى هذيان لا يفضي إلى معنى. كانت ذائقتي، بحكم الثقافة الفراتية، تميل إلى التجربة العراقية أكثر من الشامية في الشعر الحديث. كنت أرى أن قصيدة الشام يغلب عليها الافتعال، بينما تحمل قصيدة العراق تجارب إنسانية أكثر أصالة.

أكتب هذا لأقول إن منذر مصري لم يكن يومًا من مصادري الشعرية، لكنني كنت مدركًا مبكرًا لمغايرة شعره لما كان رائجًا بين قراء قصيدة النثر. بزعمي أن الشعر الحديث الذي كتب في سوريا، مر بعدة محطات كبرى من خلال بعض الأعلام.

سأبدأ بنزار قباني، الذي لم أقرأ له كثيرًا، لأن قليلًا منه كان كافيًا لأكوّن رأيي فيه. ما زلت أعدّ قصيدته شعرًا مدرسيًا مصنوعًا، يقوم على مهارة الصنعة أكثر مما يقوم على مغامرة الشعر. لا يغيّر هذا الحكم إدراكي أنه أكثر الشعراء العرب تأثيرًا في القرن العشرين، وأنه، من حيث الانتشار والفاعلية الثقافية، لم ينافسه شاعر منذ المتنبي.

أما محمد الماغوط، فهو صاحب القصيدة البسيطة الساذجة التي لا تكف عن إعادة إنتاج الثنائيات. في تقديري، تعاني قصيدة الماغوط من فقر فكري ومعرفي مدقع، لأنها تدور، بإلحاح مملٍ، حول المنظومة نفسها: الفقير والغني، الخير والشر، الضحية والجلاد. حتى تكاد قصيدته تتحول إلى بنية مغلقة مكشوفة لا تسمح بتعدد الدلالات أو اتساع التأويل. قرأته بشغف في صباي

لبساطة لغته، لكنني، مع مرور الوقت، وجدت نفسي أفضل مسرحياته المكتوبة على شعره، على الرغم من أنها هي الأخرى لم تخرج من أسر الثنائية ذاتها.

جاء رياض صالح الحسين، تلك الموهبة الفذة، والأقرب، في تقديري، إلى نيرودا، إذا كان لا بد من المقارنة. ليس لأنه يقلده أو يشابهه، بل لأنه امتلك، مثله، قدرة نادرة على أن يجعل البساطة وعاءً للفكر، لا بديلًا عنه. كانت قصيدته سهلة في ظاهرها، لكنها تنطوي على كثافة إنسانية وفكرية جعلتها، في رأيي، ذروة ذلك المسار، ليس فقط في الشعر الذي كتب في سوريا بل في قصيدة النثر العربية كلها.

أما منذر مصري، فهو الشاعر الذي لم أحب شعره الجاف يومًا، رغم أنني، مع نضج قراءتي وإحاطتي بمعظم ما كُتب في قصيدة النثر العربية، أدركت أهمية ما كتبه ويكتبه ومغايرة مشروعه. أحببت منذر الإنسان أكثر من منذر الشاعر. لا أذكر متى التقيته أول مرة، لكن ذلك كان في اللاذقية، حيث يصعب على كاتب يزور المدينة ألا يمر بمرسم منذر مصري.

مثل أي كاتب، ينال منذر نصيبه من السهام، لكنني كنت أقف مدهوشًا أحيانًا أمام لغة العداء الذي يكنه له بعض الناس. كنت، وما زلت، أعتقد أن مردّ ذلك ليس اختلافًا مع شعره بقدر ما هو جهل بشخصه؛ بدماثته، ومحبته الفطرية لكل من يلتقيه، وبمشروعه الشعري، بل وحتى بمقالاته. كان بعض الأصدقاء

يكتبون تعليقات من هذا النوع المخفف كلما ذكرت اسمه في منشور. ولأنني لست ممن يتحسسون من النقد، أو حتى من التجني على أي شخصية عامة، لم أكن أدافع عنه، بل كنت أكتفي بعبارة واحدة أختم بها النقاش ولا أفتحه: «منذر مصري خط أحمر». وكان أصدقائي يعرفون أن لا خطوط حمراء لدي، ولذلك كانوا يدركون أن هذه العبارة ليست دفاعًا عن شاعر أو كاتب، بل دفاعًا عن صديق.

لم يكن ذلك شعارًا أطلقه مجاملة لصديق، بل قناعة تشكلت من معرفة طويلة به. أتذكر أن إحدى الصديقات أبدت نفورًا واضحًا منه حين مرَّ اسمه. قلت لها يومها: «أنت لا تعرفين منذر. ستغيرين رأيك إذا التقيتِ به». وحين صادفته في معرض الكتاب الأول في سوريا في عام 2026، قالت لي: «كان معك حق. كنت مخطئة، لكن ذلك ليس ذنبي؛ فمنذر لا يجيد تقديم نفسه على شبكات التواصل».

طاردت منذر مصري بإلحاح شديد لأجري معه حوارًا لموقع **جدار الثقافي** عام 2006، لكنه ظل يسوّف ويؤجل حتى مللت مطاردة الفكرة. بعد سنوات، حين أسسنا **دار جدار للثقافة والنشر**، عدت أطارده من جديد، وهذه المرة لجمع مقالاته في كتاب ضمن سلسلة خصصناها لكتّاب سوريا المعارضين للنظام البائد. ظل يؤجل كعادته، وحين أرسل المخطوط أخيرًا كانت رياح الربيع العربي قد هبت، فتوقفت الدار عن النشر، لكنه صدر لاحقًا تحت عنوان «سوريا بلدي كما خالدية.. أمي». عندما عادت دار **جدار** إلى العمل

بعد أكثر من عقد، طلبت منه أعماله الشعرية الكاملة، لأكتشف أنها كانت قد صدرت بالفعل. لكن ها أنا، بعد ما يقارب عقدين من أول محاولة، أقدم أخيرًا كتابًا لمنذر مصري عبر دار جدار.

أثناء قراءتي مقدمته لهذه الطبعة من «بشر وتواريخ وأمكنة» فوجئت، رغم أنني كنت أعرف المعلومة على نحوٍ ما، بأن ديوانه الثاني لم يصدر إلا عام 1997. بالطبع كانت هناك سياقات كثيرة جعلت اسم منذر يقترن بهذا الكتاب وحده قرابة عقدين، على الرغم من أنه لم يتوقف يومًا عن الكتابة. عدت إلى «بشر...» بوعي مختلف؛ فقد كنت أغلقت مسار الشعر وأصدرت أعمالي الكاملة، واتجهت إلى الرواية، ولم أعد أقرأه كشاعرٍ يبحث عن مصادره أو أسلافه، بل قارئًا يحاول أن يتلمس مكمن الاختلاف والجدة في هذا الكتاب الذي امتحنه الزمن ونجا، وأن يفهم الاقتراح الذي قدمه منذر مصري لقصيدة النثر العربية في بدايات تجربته.

منذ الصفحات الأولى يلفت النظر أن منذر مصري لا يكتب قصائد منفصلة، بقدر ما يبني عالمًا شعريًا واحدًا. فالتواريخ ليست مجرد إثبات لزمن الكتابة، بل تتحول إلى عناوين، أي إلى مدخلٍ للبنية الشعرية نفسها، حتى ليشعر القارئ أنه يتصفح دفتر حياة أكثر مما يقرأ ديوانًا بالمعنى التقليدي. غير أن ما يواجهه هنا ليس يوميات، بل قصيدة مركبة تبدو عصيّة على القراءة الأولى. كذلك لا يحضر المكان بوصفه خلفية للأحداث، وإنما بوصفه عنصرًا مكوّنًا للقصيدة؛ فحوران، وبيروت، ودمشق، واللاذقية، وخربة أبو

قريعة، ليســت أســماء جغرافيـة محايـدة، بل علامات على ذاكرة شـخصـية وجماعية تتقاطع فيها الحرب، والمنفى الداخلي، والحياة اليومية. وليس من المصادفة أن يتقدم البشر على التواريخ والأمكنة في عنوان الكتـاب؛ فـالتـاريخ عنـد منـذر لا يُروى إلا من خلال الإنسان، والمكان لا يكتسب معناه إلا بمن يعبره، ولذلك جاء البشر أولًا، لأنهم المـادة الحيـة التي تنتظم حولهـا الأزمنـة والأمكنـة، لا العكس.

هكذا يمكن فهم عنوان الديوان. فــ«البشـر» ليسـوا شـخصـيات رمزية، و«التواريخ» ليسـت مجرد إحالات زمنية، و«الأمكنة» ليسـت إطارًا جغرافيًا للأحداث، بل هي العنـاصــر التي صــاغ منها منـذر مصــري عالمه الشــعري. لا يبدأ من الفكرة المجردة، ولا من البلاغة، القديمة أو النثرية المتشكلة، إذ أن قصيدة النثر العربية تشكلت لها بلاغتها كذلك، وإنما يبدأ من الإنســان؛ من حياة تبدو عادية إلى الحد الذي يكاد يخفي شــعريتها. لذلك لا يحضــر التاريخ عنده كحدثٍ، بل بوصــفه يومًا عاشــه شــخص ما، ولا يحضــر المكان كمسرحٍ للقصيدة، بل ذاكرة تسكنها. ولذلك لا تبدو الشخصيات في هذا الكتاب موضـوعًا للقصـيدة، بقدر ما تبدو الوسـيط الذي يرى الشاعر العالم من خلاله. وهكذا يتحول الديوان كله إلى سيرة زمن، تُروى عبر البشر الذين عبروا أمكنته وتركوا آثارهم في تواريخه.

إن الحضور الكثيف للأشخاص، وهو ما منح الديوان كلمته الأولى، لا يعكس رغبة منذر مصـري في اسـتعراض ثقافته أو حشـد الأعلام التاريخية والثقافية داخل القصيدة. فتشي غيفارا، وبابلو بيكاسو،

ووليم بتلر ييتس، وجلجامش، وآدم، لا يحضرون بوصفهم أيقونات ثقافية، بل يحضرون تمامًا كما يحضر محمد، وإبراهيم، ومصطفى، وماهر، وأسماء أخرى قد لا يعرفها أحد غيره. الجميع يقفون على المستوى الإنساني نفسه؛ فلا امتياز للاسم المشهور على الاسم المجهول، لأن القيمة في هذا الكتاب لا تستمد من شهرة الشخص، بل من حضوره داخل التجربة الشعرية. ولهذا تتحول الشخصيات، مهما اختلفت مرجعياتها، إلى بشر قبل أن تكون رموزًا، وإلى جزء من النسيج الإنساني للقصيدة قبل أن تكون إحالات ثقافية. هكذا اكتسبت تجربة منذر مصري إحدى أكثر خصائصها فرادة؛ فهي تسوّي بين الشخصيات جميعها أمام التجربة الإنسانية، وتمحو الفواصل بين التاريخي واليومي، وبين الإنسان العادي والشخصية التي دخلت التاريخ .**إن منذر مصري لا يستعير الشخصيات من التاريخ، بل ينتزعها من سلطة التاريخ، ليعيد إليها إنسانيتها الأولى.** القارئ لا يعود معنيًا بما يمثله تشي غيفارا أو بيكاسو في الذاكرة الثقافية، بقدر ما يعنيه حضورهما بوصفهما بشرًا يعيشون داخل العالم الذي تبنيه القصيدة.

غير أن الأهم من ذلك كله أن منذر مصري لا يكتب تاريخ السبعينيات، ولا يسعى إلى توثيق وقائعها. فهذه ليست قصائد عن الحرب، ولا عن السياسة، ولا عن الهزائم والانتصارات، بقدر ما هي قصائد عن الإنسان الذي خرج من تلك السنوات محملًا بآثارها. إنه لا يؤرخ للحدث، بل للوعي الذي خلّفه الحدث، ولا يلاحق

الوقائع، بل ما استقر منها في الذاكرة بعد أن هدأت الضوضاء. إذ لا نعثر في هذا الديوان على خطاب سياسي، ولا على قصائد مناسبات، بل على بشر يحمل كل واحد منهم نصيبه من الزمن، وكأن التاريخ، في نهاية الأمر، لا يترك أثره في المدن بقدر ما يتركه في البشر.

في هذا الكتاب يظهر الأسلوب الذي سيصبح لاحقًا العلامة الأبرز في تجربة منذر مصري. جملة قصيرة، وصورة تبدو مألوفة، يتجاور فيها شيء من السريالية مع شيء من الرمزية، لكنها لا تنتهي إلى غموض مقصود، ولا إلى مفارقة مجانية. قصيدته لا تقوم على البلاغة التقليدية والنثرية المستجدة، ولا على الحكاية وحدها، ولا على السرد، وإن استعارت من كل ذلك شيئًا. إنها تكتب العالم من التفاصيل لكنها لا تغرق فيها بعكس آخرين كثر من مجايليه ولاحقيه، إذ تتركها تتسع بهدوء حتى تلامس سؤالًا وجوديًا. لذلك يصعب تصنيف قصيدته؛ فهي لا تشبه قصيدة المشهد، ولا قصيدة الحكاية، ولا القصيدة التأملية الفكرية الخالصة، بل تتحرك بينها جميعًا من غير أن تستقر في واحدة منها.

تتكور الحكاية في مطالع النصوص أحيانًا، لكنها لا تتحول إلى علامتها الأبرز. يبدأ القصيدة كما لو أنه يروي حكاية، ثم لا يلبث أن يخلخلها ويبعثر مسارها، كما يفعل الرسام بضربات ريشته حين يرفض أن يستسلم للشكل المتوقع. منذر ليس قارئًا نهمًا فحسب، بل رسام أيضًا، ولم أعرف شاعرًا يملك حسًا موسيقيًا وولعًا بنمط من الأغنية مثله. لم تكن هذه الاهتمامات موازية للشعر، بل تسربت إليه؛ فمن الرسم جاءت العين التي تبني المشهد، ومن

الموسـيقى جـاء الإيقـاع الـداخلي، **ومن القراءة جـاءت الكثـافـة الفكرية التي أنقذت قصيدته من الفقر المعرفي الذي وقعت فيه، في رأيي، قصـيدة الماغوط، ومن الإفراط في صـناعة اللغة حتى تنفصـل القصـيدة عن العالم وتتحول إلى هذيان، كما في تجربة سـليم بركات.** ولهذا تحمل قصـيدة منذر دلالات فكرية وفلسـفية من غير أن تتورط في التجريد، كما تحتفظ باقتصـادها اللغوي من غير أن تفقـد بسـاطتها. تلك القـدرة على الانتقـال من اليومي إلى الوجودي، ومن المشـهـد العـابر إلى السـؤال الفكري، هي إحـدى السـمات التي طبعت هذا الديوان، ثم أصـبحت السـمة الأبرز في تجربة منذر مصري كلها.

لم يعلن منذر مصـري قطيعته مع البلاغة ببيان نظري، كما فعلت مجلة شـعر وشـعراؤها، وإنما مارس هذه القطيعة داخل القصـيدة نفسـها. فهو يكتب بلغة معاصـرة، لكنها لا تنحدر إلى النثر اليومي كما انتهت إليه تجارب كثيرة رفعت شـعار البسـاطة والقصـيدة اليوميّة. فجمله مقتصـدة، لكنها ليسـت فقيرة، وعادية في ظاهرها، لكنها مشـدودة إلى بناء بالغ الإحكام، يجعل كل انعطافة فيها تعيد تشـكيل مسـار القصـيدة. لا تقوم نصـوصـه على الحكاية، ولا على المفارقـة، ولا على السـرد، وإن اسـتعارت من كل واحـد من هـذه العناصـر ما يخدمها. قد تبدأ القصـيدة بحادثة صـغيرة، أو بصـورة عـابرة، أو بجملـة تبـدو مـألوفـة، ثم لا تلبـث أن تنحرف بهـدوء عن المسـار الذي يتوقعه القارئ. إن قصـيدة منذر لا تعلن اختلافها، بل

تفرضه أثناء القراءة، فهي لا تحتاج إلى بيان يسبقها، لأن القصيدة نفسها هي البيان.

إن أهمية «بشر وتواريخ وأمكنة» لا تعود إلى كونه واحدًا من أبرز دواوين قصيدة النثر العربية في سبعينيات القرن الماضي فحسب، بل إلى أنه قدم اقتراحًا مختلفًا لمعنى القصيدة نفسها. فقد أعاد تعريف العلاقة بين اللغة واليومي، وبين الإنسان والتاريخ، وبين الحكاية والقصيدة، من غير أن يعلن ذلك في بيان نقدي أو مشروع نظري. لم يحتج منذر مصري إلى بيان يعلن قطيعته مع الشعر السائد في بداياته، فقد اكتفى بتقديم الكتاب. لم يبسّط القصيدة حتى تفقد الشعر، بل بسّط لغتها من غير أن يتخلى عن تعقيد الرؤية. لم يكتب الحرب، بل كتب الإنسان الذي خرج منها. لم يستعر الشخصيات من التاريخ، بل أعاد إليها إنسانيتها الأولى. **ولهذا ظل »بشر وتواريخ وأمكنة«، بعد أكثر من نصف قرن على كتابته، واحدًا من الكتب المؤسسة في قصيدة النثر العربية**، لا لأنه سبق غيره زمنيًا، بل لأنه سبق كثيرًا من مجايليه فنيًا، وما يزال قادرًا على أن يُقرأ بوصفه عملًا حيًا يقترح للشعر أفقًا جديدًا، لا مجرد محطة من محطات تاريخه.

خلف علي الخلف

1 تموز 2026

طفلي الأوّل: بشر وتورايخ وأمكنة

كيف لمن يكتب عن كتابه أن يتجنب الكتابة عن نفسه

شبه اعتذار

«هابط من القمر»، «فاكهة جديدة وغريبة»، كان أول ما قرأته عني وعن شعري في إحدى متابعات شوقي بغدادي في ملحق الثورة الثقافي «1977» لقصائد الشعراء الشباب، أواسط عقد السبعينيات من القرن الماضي.

قبل هذا بثلاث سنين، الجبهة، ليلة عاصفة، أحد عناصر كتيبة الإشارة، اللواء «61» يقتحم خيمتي قائلًا: «أحببت قصائدك في الموقف الأدبي».لأكتشف أن القصائد التي أرسلتها لزكريا تامر، قد نشرت في العدد الخاص بحرب «1973»، بعنوان آخر مأخوذ من أحد سطورها «رحلات شقائق النعمان»:

[خضب دم الحرية
القبرة الذبيحة
مياه الساقية.
/
وهكذا ابتدأت من ضفافها
وعلى صدور من شربوا منها
رحلات شقائق النعمان
الخاطفة..]

شاعريته المفرطة هي ما راق عدو الشاعرية! فصار عنوان القسم الأوّل من «بشر وتواريخ وأمكنة» الذي صدر بعد ستة أعوام «1979».

خلافًا لكتاب كثيرين أعرفهم، الشعراء خاصة، أصحاب القصائد المنزلة، يسرني تدخل المحررين في كتاباتي، كتغيير عناوينها، وكأن هذا وظيفتهم، أو بعض كلماتها؛ زكريا تامر، لو لم يكن حينها رئيس تحرير الموقف الأدبي، لما نشرت القصائد أصلًا. عبّاس بيضون ويوسف بزي؛ إذا لم تنشر مادة لي في السفير، لسبب ما، أعود وأرسلها لتنشر في نوافذ، وبالعكس. أمّا شوقي أبي شقرا، الذي عرف عنه لعبه بقصائد شعراء مجلة شعر وملحق النهار، ومنهم الرواد، فقد كان شعورًا رائعًا أن أبقي «شهوتي مفتوحة» بدل «شهيتي مفتوحة»، في إحدى قصائد «آمال شاقة»، مجموعتي الأولى. الحقيقية، التي وافق اتحاد الكتاب على طبعها بالتعاون، شرط أن أشير إلى هذا على غلاف الكتاب، مقابل ألف ليرة سورية تقدم للمؤلف، فلم أوافق، ورحت أصورها وأوزعها على الأصدقاء، كما فعلت سابقًا بقصائد عديدة تعذر نشرها، مثل «أمريكا أنت تعنين لنا المتاعب - 1976»، تعذر نشرها على بندر عبد الحميد المشرف على القسم الثقافي في صحيفة البعث، حرصًا على العلاقة الطيبة بين سورية والولايات المتحدة آنذاك، أو بتفسير عادل محمود: «ينظر بندر لقصائد الآخرين كما تنظر ربة البيت لنشر غسيل جارتها في مطبخها!؟ فإذ بعبد الله البردوني، الذي قابلته خلال زيارته الوحيدة للاذقية، يفاجئني بنشر القصيدة التي ظن صلاح فائق أن

كاتبها شاعرًا أمريكيا، في مجلة **الحكمة** لسان حال الكتاب اليمنيين، و«فلسطيني وسوداني والثالث مغربي - 1976»، و«بيروت.. جثة ترتدي ثوب السهرة - 1978»، البدعة التي أنهيتها بقصيدتي الملعونة «ساقا الشهوة» بعد منع مجموعتي «داكن» بسببها، وتمزيق الرقابة. صفحتيها في مجلة **الناقد**.

لا بد وأنه تدبير سماوي صدور «بشر وتواريخ وأمكنة» كأول كتبي، مطابقًا لاعتبارات كثيرة كانت في منتهى الأهمية بالنسبة لي:

1- الشاعر الجيد هو من يبدأ بكتاب جيد. قليلون هم الشعراء الجيدون الذين بدأوا بكتب رديئة.

2- لا عواطف تسيل من طيات الكتاب. لست الشاعر الذي يسره إطلاق التأوهات، رياض صالح الحسين في مقاله؛ *منذر مصري يؤرشف حياتنا اليومية* ، يستغرب أنه لا يوجد قصيدة حب واحدة: «مع أن منذر شاب في مقتبل عمره!» مات رياض بعد ثلاثة أعوام، وهو في عمري ذاك تمامًا.

3- قصائدي العمومية، القصائد التي نشرت وعرفت بها، مثل: «رحلات شقائق النعمان»، «أمريكا.. أنت تعنين لنا المشاكل»، «تواريخ» نشرت في **الملحق الثقافي**، «الدرس»، يسألني عادل محمود: «ماذا يمكن أن تكتب بعدها؟»، «المقاطع الخمسة». نشرت في مجلة **المعرفة** السورية، وقال خلدون شمعة عن وقتها: «أول شاعر حديث في سورية»، عارضًا علي أن يكتب مقدمة «بشر...». ولكن، كيف لي ويا له من سبب! أن أقبل، والمعركة على أشدها بينه كممثل للخط

الليبرالي في الأدب، وبين سعيد حورانية ومحمد كامل الخطيب ومحمود عبد الواحد الشيوعيين.. أصدقائي؟

تقدمت بمخطوط «بشر...» إلى مديرية التأليف والترجمة في وزارة الثقافة السورية، مكتوبًا بخط يدي، على دفتر مدرسي بشريط معدني، خلال إحدى رحلاتنا المكوكية، شهري آب وأيلول «1978»، التي كنا نقوم بها أنا وأبي وخالي بين اللاذقية ودمشق، بعد تأكدنا من إصابة أمي بسرطان المعدة، وذلك قبيل سفري بمنحة دراسية لمدة ستة أشهر في بولونيا. أمي، وهي تحتضر، كانت الأشد حماسة لسفري، ربّما لذات السبب الذي كان يدفعني أنا نفسي للسفر، وهو ألا أراها وهي تموت، على أمل أخرس وأعمى، أن أعود وقد شفيت. الأعجوبة التي تحدث دائمًا في أحلامي. توفيت دون أن ترى اسمها على الصفحة الأولى من الكتاب: «إلى خالدية»، دون ضرورة لصفة أخرى، توفيت دون أن تراني.

صدر «بشر...» في الشهر الأخير من العام الأخير لعقد السبعينيات، وقد سبقني كل مجايلي من الشعراء السوريين، الأكبر عمرًا مني بقليل، الذين ترددوا زمنًا، طال أم قصر، بتبني قصيدة النثر، كبندر عبد الحميد «احتفالات - 1978». نزيه أبو عفش «أيها الزمان الضيق أيتها الأرض الواسعة - 1978». عادل محمود «قمصان زرقاء للجثث الفاخرة - 1978». ومعهم من.كانوا بعمري أو أصغر بقليل؛ سليم بركات الذي توصل باكرًا لقصيدته الخاصة، ليعبر بعدها من التفعيلة إلى النثر بلا كسر لهذه الخصوصية. وكذلك رياض الصالح الحسين «خراب الدورة الدموية - 1979».

جميعهم، ما عدا نوري الجراح «الصبي - 1982»، أصدروا مجموعاتهم النثرية قبلي. غير أن الشعر لم يكن يومًا مضمار سباق، أو حلبة مصارعة، ذلك أن كلا منهم أخذ موقعه في المشهد الشعري الجديد، وقد طرأ عليه هذا التغيير الكبير، بالرغم من الموقف العدائي الذي اتخذه شعراء الأجيال السابقة، الستينيون منهم خاصة، الذين كانوا، ولزمن مديد تلى، المتسلطين على كل المنابر الثقافية في سورية. وذلك لتماهيهم الشديد الندرة والشديد الوطء، الذي لا أعرف له في العالم مثيلًا، مع أيدلوجية النظام السياسي القائم. رغم كل ما عرف عنهم من تململ وعدم انصياع، يمكن تفسيره، ولو بعسف ما، كصراع بين شاعريتهم الثورية الرومانسية وارتهانهم كواجهة ثقافية لذلك النظام.

كان «بشر...» كتابًا مختلفًا. شكلًا: حجمه الكبير، وعدد صفحاته (229)، في الوقت الذي كانت دار العودة تعيد إصدار مجموعات السياب والبياتي ودرويش وأدونيس والماغوط بقياس كتاب الجيب. وغلافه الأخضر الكامد، يتوسطه مربع أبيض تطل منه عينان بشريتان، تحيط بهما ظلال كثيفة، وما يزيد عن ثلاثين لوحة داخلية بالحبر الصيني، رسمتها بالتزامن مع كتابتي لقصائده، أيام الحرب. ومضمونًا: عنوانه، الذي جعل البعض يظنونه كتابًا في الجغرافيا البشرية، وقصائد تدير ظهرها لكل معايير الشعرية المعممة، واقعية وسردية، بلغة مباشرة، وكأنه لا هم لها إلّا الوقوع في كل مطبات قصيدة النثر. لكن «بشر...» أستقبل باحتفاء لافت،

كتب عنه مباشرة رياض الصالح الحسين، مقاله النقدي الوحيد، كما كرسني كتاب جمال باروت «الشعر يكتب اسمه» رابع فرسان الشعر السوري الجديد «نزيه - بندر - عادل».وهذا لا يقارن بشهادة سعدي يوسف في مجلة البديل: «... هو الذي يعتبر الإحساس رهانه الأوّل، لا يفتئت على الواقع ولا يحمل منتقياته أكثر مما تحتمل، ولو ألحت عليه الاحتمالات... وربّما كان لمقدرته التشكيلية دور في هذا الاعتبار، مكن طموحه إلى الدقة الشعرية من التحقق عبر الموازنة بين المرئي والمبصر. إن قصيدته متميزة عمن حوله، مكتفية بنتوءات الواقع وملمس هذه النتوءات على أنامله المرهفة، محاولًا على الدوام أن يكون أمينًا على شروط العملية الفنية، شرعية العملية الفنية، أي؛ على حقيقة التركيبة التي تجعلنا نميز بين النص الإبداعي وسواه».

بقيت شاعرًا بكتاب واحد، أو بكتاب وثلث إذا أخذ بالحسبان مشاركتي لأختي مرام وصديقي محمد سيدة في «أنذرتك بحمامة بيضاء - 1984»، مدة «18» عامًا، صدق أو لا تصدق! من «1979» إلى «1997» عام إصدار «مزهرية على هيئة قبضة يد». لدرجة أني أقنعت نفسي بأن الشاعر الحقيقي هو من يصدر كتابًا واحدًا طوال حياته، يودعونه معه القبر. لكن «بشر...» تطوع ونشلني من قبري الشاعري البائس هذا، عندما التقطه من بسطة كتب على الرصيف في دمشق شاعر وصحافي لبناني جاء لسوريا في أواسط التسعينيات، وكأنه في رحلة استكشافية لبلد غامض مجهول في آخر الأرض، وليس لبلد يحيط ويلتصق ببلده لدرجة أنه يكاد

يبتلعه، ولما عاد هذا المكتشف الذي أول حرفين من اسمه يوسف بزي، كان أول ما فعله أنه اتصل بي وسألني، ما إذا كنت مهتما بطبع مجموعة شعرية في دار الريس؟

أستطيع شكر الحظ، الصدفة، أن يكون كتابي على البسطة، وشكر يوسف، اشتراه وقرأه وصدقه. وشكر رياض الريس، رفيق توفيق الصايغ وجبرا ابراهيم جبرا، ينظر إلى مخطوط «الشاي ليس بطيئًا» ويسألني ضاحكًا، من دون أن ينتظر الإجابة: «من أين تأتي بكل هذا الكلام». ولكن، بالتأكيد «بشر...» هو ما جعل كل هذا يحدث. لولاه لبقيت ضحية النسيان والمحو والتنكر، الذي جوبهت به كما الكثيرون أمثالي.

...

بشر وتواريخ وأمكنة أنقذني وشفاني..

منذر مصري

رَحَلاتُ شَقائقِ النُعمان

1973/10/16

مَن يُصدِّقُ صباحًا أيقظَتهُ بهِ غِربان
مَن يُصدِّقُ أخبارًا حملَها لهُ
عُواءٌ بعيد.
/
مَن يُصدِّقُ شجَرةً تتعرّى على مرأىً منَ الجميع
مَن يُصدِّقُ تُفَّاحةً تجلِسُ أمامَهُ على الطاولة
مَن يُصدِّقُ مساءً هبَطَ
وتدحرجَ
عندَ قدمَيه.
/
مَن يُصدِّقُني؟

تسيل — حوران

1973/10/20

بعدَ قليل
سيخرجُ البَدر
وسيخسَرُ كُلٌّ منَّا فُرصتَهُ أن يبقى
وحيدًا
وحاجتَهُ أن يندَم.
/
بعدَ قليل
سيخرجُ البَدر
وسيخسَرُ كُلٌّ منَّا أكثرَ ما بحوزتِهِ
منَ النُجوم.
/
لكنَّا حينَذاك
سنستطيعُ أن نرى شِفاهَنا
وهيَ تهمِسُ
وأعيُنَنا حينَ تلتقي
وكيفَ تزحفُ لتتلامسَ
نهاياتُ أصابعِنا الغامِضة.

تسيل — حوران

1973/10/25

يضعُ حَصاةً في جيبِه
ليتذكَّر
ويربُطُ خيطًا بأُصبُعِه

ليعرِفَ كيفَ يعود

حتَّى فاضَت بالحَصى جُيوبُه
وتشابكت أصابعُهُ بالخُيوط.
...
وضاع..

تسيل — حوران

1973/10/26

أعياهُ تقسيمُ السماءِ إلى مُربَّعات
ومحاولاتُ حَصرِ النُجومِ والكواكِب
ولَم يَجِد بعدَ كُلِّ ذلك
أقلَّ ما يَحتاجُهُ المَرءُ منَ الأجوبة.
/
فعادَ مرَّةً أُخرى إلى الأرض
ليرسُمَ الخرائط
ويصنعَ الأحذية..

تسيل — حوران

1973/10/27

أصابِعُهُ قصيرةٌ وممتلئة
وعيناهُ ليستا
بعيدَتين بعيدَتين.
/
هوَ الحُرُّ في الحياةِ
والمؤقَّت
بِخُصيتَينِ غيرِ مقدَّستَين
صاهرَ كُلَّ القبائل
وبِحذاءٍ مثقوب
كرَّزَ ومشى
على خدِّ البحر..

تسيل — حوران

1973/10/28

دخَلَ حربًا وخرَجَ منها سالمًا.

/

غيرَ أنَّ الأُمور

ليسَت بِهذهِ السُهولة

فالنارُ قد شاركتهُ فِراشَه

والتحفت أحلامُهُ

بالدُخان..

تسيل — حوران

1973/10/29

أنا سيزيف... الَّذي
ركَلَ صخرتَهُ اللعينةَ بكعبِ قدمِه
فصعِدَتِ الجبلَ كعَنزةٍ بريَّة
ووقَفَت على رأسِه
كغُرَّةِ شَعر.
/
أنا سيزيف الَّذي
...
أدارَ لكم ظهرَه
وراحَ يتصفَّحُ
عناوينَ جريدةٍ يوميَّة..

تسيل — حوران

1973/10/30

طِفلٌ
تسَلَّقَ سورًا
صعِدَ عليهِ جبل
استلقى على بَحرة
سقَطَت عليهِ
أرض.
/
مَن يصيحُ بهِ: «لا»
رَجُلٌ
يصفَعُ الأشجار
ويبصُقُ على العُشب..

تسيل – حوران

1973/10/30

لأرى الدُنيا سَوداءَ ابتعتُ مِنظارًا أسودَ
وغمَّستُ بالحِبرِ الصيني الأشجارَ والبُيوت
ولقَّنتُ لساني وأصابعي
نظَراتِ الفلاسفة.
/
في حينَ أنَّ الآخَرين
لَم يتكَلَّفوا شيئًا أكثر
منَ الاستيقاظ
باكرًا
قليلًا..

تسيل — حوران

1973/11/1

إذا رأوكَ

وأنتَ تنتعِلُ شاروخًا

سيركُضون

ويَحرِقونَه

لأنَّكَ... حافيًا تتنَزَّه

لن تسمحَ لكَ بالابتعادِ ذُقونُهمُ الشائكة

كما أنَّ السَحالي ستجِدُ

حيثُما مررتَ

ما تلعَقُ بهِ ألسِنتَها..

تسيل — حوران

1973/11/2

إلى (مَرام)

قضى حياتَه
في حروبٍ قامَت وما قعَدَت
بينَ أُمِّهِ الغرائز
وأبيهِ العقل.
/
وقبلَ أن يَموت
فوجئوا حينَ أسَرَّ لهم
بأنَّ ما قتلَهُ هوَ
أُختُهُ
العاطفة..

1973/11/4

مرَّةً تحتَ النافذة
تمَهَّلَ كثيرًا حتَّى كادَ يقِف
ومرَّةً تحتَ النافذة
أخرجَ لسانَهُ وأدارَ ظهرَه.
/
مرَّةً في السينما
كانَ يتلفَّتُ للوراءِ كثيرًا
ومرَّةً في السينما
نامَ
ومرَّةً اختفى.
/
مرَّةً على المائِدة

ارتبكَ
ومرَّةً على المائِدة
كانَ يتذكَّرُ بصوتٍ مُرتفِع
ومرَّةً بصَق.
/
مرَّةً في الشارِع
كانَ يقرأُ جريدةً
ومرَّةً في الشارِع
وقفَ وانتظرَ طويلًا
ومرَّةً رأوهُ بصُحبةِ امرأة.
/
مرَّةً في الخَندق
كانَ يضحَك
ومرَّةً في الخَندق
كتبَ رِسالةً ثُمَّ مزَّقَها
ومرَّةً
كانَ يضحُكُ أيضًا
لكنَّهُ فجأةً
توَقَّفَ عن كُلِّ ذلك..

تسيل — حوران

1973/11/7

لأسقي زَرعي
لأستحِمَّ ثلاثَ مرَّاتٍ في النَّهار
وأغرَقَ ثلاثَ مرَّاتٍ في النَّهار
تكفيني نُقطةُ ماء.
/
لأفتحَ عينَيَّ طوالَ الوقت
لأشعُرَ بأنِّي على ما يُرام
ولو من دونِ امرأة
تكفيني شجَرة.
/
تكفيني حبَّةُ عِنَب
لأمتلئَ بالرَّغبة
وأسهرَ في الخَمَّارة
وأعودَ سَكرانًا إلى البيت
وقد ضيَّعتُ
كُلَّ تعبِ الشِتاء..

تسيل — حوران

1973/11/13

خضَّبَ دمُ الحُريَّة
القُبَّرةِ الذَّبيحة
مياهَ الساقية.
/
وهكذا ابتدأت من ضِفافِها
وعلى صُدورِ مَن شرِبوا منها
رَحَلاتُ شقائقِ النُعمان
الخاطِفة..

حوران— خربة أبو قريعة

رِعشةُ عُشبِكَ الدامي

إلى (أرنستوَ تشي جيفارا)

«عندما رغِبوا أن يصنعوا عنهُ فيلمًا، لم يجدوا في هوليوود مُمثِّلًا بجمالِهِ»

مُنذُ سَبعِ سَنوات
يومَ تناهى إليَّ خبرُك
مُنذُ سبعِ سنواتٍ تقريبًا
كانَ علَيَّ أن أفتحَ صوتي عنك.
/
وكانَ أمامي

كي لا تختلطَ كلماتُهم بكلماتي
سبيلان
فإمَّا أن أقِفَ بعيدًا عنِ الجميع
وفي جَوقةٍ مُفردة
وإمَّا أن أنتظِرَ
ريثَما يُفرِغونَ تمامًا ما عندَهم
وأعزِفَ وحديَ
المَقطعَ الخِتامي للَّحن
...
وقد اخترتُ يا أرنستو تشي جيفارا
السَبيلَ الثاني.
/
والآن حينَ جاءَ دَوري
وعلَيَّ أن أبذُلَ كُلَّ جُهدي
أعلَم أنِّي لن أكونَ الأخير
فدائمًا سيبقى رَجُلٌ أفضلُ
ينتظِر
وأعلَم أيضًا
أنَّ كلِمتي الخاصَّةَ هذه
لن تستحِقَّ كما يبدو
كُلَّ تِلكَ السِنين.
/
يا تشي
ما أعرِفُهُ عن حياتِكَ

لا يعدو اسمَكَ
وبعضَ صُورِكَ
وقليلًا منَ اليوميَّاتِ والوَصايا
وما كانَ لي أن أعرِفَ هذا
إلَّا بعدَ أن قُتِلتَ
لكنَّ ما أعرِفهُ جيِّدًا
هوَ موتُكَ
موتُكَ النابِض
موتُكَ الحَيُّ
موتُكَ الَّذي لا يَموت
...
وفي احتِضارِكَ الرَبيعي
وفي احتِضارِكَ الشِتائي
في احتِضارِكَ اللَيليَ
والنَهاري
في احتِضارِكَ الَّذي أينعَ
مواسِمَ موتِك
موتِكَ المطر
موتِكَ الغابة
موتِكَ النَهر
أشياءُ كثيرةٌ تُقال
حتَّى التعابيرُ البالية
تعودُ وتَجِدُ بكَ براءتَها القديمة
وصِدقَها الجديد
لكنِّي يا تشي

سأكتفي بأن أدعَها لهم
وربُّما هذا بالمُقارنةِ
كافٍ بالنِسبةِ لي
غيرَ أنَّكَ لا ريبَ
تطلُبُ المزيد
وكما لا يوجدُ عُذرٌ لغيري
لا يوجدُ لي.
/
وهكذا يا تشي
حتَّى الكلماتُ الآتية
كلماتُ مَن هُم أفضلُ منِّي
والكلماتُ الَّتي ستستحِقُّ
كُلَّ ذلكَ الانتِظار
لن توفيكَ حقَّكَ
ولن تلمُسَ أبدًا
رِعشةَ عُشبِكَ الدامي..

الأبطال

من راحاتِ الآباء
ومن أحواضِ النِساءِ الفائضة
تُختَتَمُ أقاصيصُ الحُبِّ التافِهة
وتُحصَدُ أحلامُ الأبطال
قبلَ الأوان.
/
بصُدورٍ ضيِّقة
وحناجِرَ جافَّة
يَحزِمُ الأبطالُ أعمارَهم
يغيبونَ في الأُفُق
وهم ينظُرونَ

إلى الخلف.
/
دونَ سابقِ معرِفة
الأبطال
يفترِشونَ أجسادَهم
يتنفَّسونَ زفيرَهم
وعُطورَ أقدامِهِم
وبأعيُنٍ جاحِظة
وأُنوفٍ نِصفِ مُغمَّضة
يُقَلِّبونَ صفحاتِ الليل.
/
الأبطال
يضعونَ جانبًا رُؤوسَهُم
ما دامَ لا عملَ لها
إلَّا أن تكونَ
مَحشوَّةً بذِكرياتِهِم
عُيونُهم يُغلِقونَهَا
على صُورٍ
تحيا فيها ظِلالُهم
وآذانُهم يُرسِلونَها بعيدًا
لتسمعَ أصواتًا
تُناديهم بأوَّلِ أسمائِهِم.
/
بعيدًا عن قُلوبِهِم

الأبطال
داخِلَ معاطفِهِم
وتحتَ أغطيتِهِم
ينفُخونَ وينفُخونَ في قبضاتِهِم
ليُدفِئوا
أطرافَ الوطنِ الباردة.
/
الأبطال
لا يُصدِّقونَ ما يُقالُ عنهم
ولا حتَّى يُصدِّقونَ أنفُسَهم
وحينَ يأتي الوقت
لتبادُلِ الأكاذيبِ والفضائح
سُرعانَ ما يُخرِجونَ كُلَّ ما عندَهم
يشتُمون
وتُفرقِعُ الضَّحِكاتُ بينَهم
وكُلُّ هَمِّهِم
أن يُبعِدوا ما بينَ أرجُلِهِم
ويدَعوها تمُرُّ
تلكَ الحُروبُ اللَعينة..

تسيل — حوران

في (بَيروت) سبَحَ كالإنكليز

في (بَيروت) سبَحَ كالإنكليز
ولَم يَخجل
يقرُصُ الفتاةَ من ظهرِها
ويغطِسُ
فتراهُ وتصيح:
«سَرطعون سَرطعون».
/

عمِلَ ساقيًا فَترةً غيرَ مُحدَّدة
الأمريكيَّة
وضعت يدَها على ...
ولَم تطلُب سوى (كوكاكولا)
والفرنسيةُ القصيرة
فتحَت لهُ الباب
وهِيَ عارية!
/
أدهشَ الجميع
وسألَ الإيطالِي ذا اللِحيةِ بالإيطاليَّة:
«ماذا تُفضِّلُ على العشاءِ يا (سِنيور)؟»
ورفضَ البَقشيشَ بالطَّبع
لأنَّهُ أيُّها الصديق
يعتبِرُ نفسَهُ
سائحًا أيضًا.
/
عادَ أخيرًا
بلهجةٍ ممطوطة
وبِنطالٍ ضيِّقٍ بلا جُيوب
لكنَّهُ تعلَم كثيرًا
يقولُ وَداعًا بسُهولة
هكذا الحياةُ في (بَيروت)!
/
يُحِبُّ (أمريكا)
وخاصَّة (هوليوود)

الَّتي أخذَ فيها صورةً تَذكاريَّة
بِجانبِ (مارلين مونرو) منَ الورقِ المُقوَّى
أبوهُ قالَ لهُ: «اذهب»
لكنَّهُ وصَلَ إلى قناعةٍ تامَّة
بأنَّ (هوليوود)
ليسَتِ المكانَ الَّذي
خُلِقَ ليحيا به.
/
ابتاعَ من أُسبوعَينِ
ساعةَ (جوفيال) مُستعمَلة
وفي اليومِ الأولِ من الشَهرِ الحالي
وضعَ فوقَها راتِبَهُ الجديد
مقابلَ (سايكو) مُزيَّفة
بسنةٍ واحِدةٍ
أبدلَ إثنتي عَشَرةَ ساعة
لَعلَّهُ يعودُ للعملِ قريبًا
وو وو وو
قِطارُ أحلامِه..

حوران— خربة أبو قريعة

أهلُ الساحل

أهلُ الساحِل
أظافِرُهم مُمزَّقةٌ
وأسنانُهم دامية
من سَرِقةِ التوتِ الرومي.
/
أهلُ الساحِل

لا يعشَقونَ البحرَ
كما تظُنُّون
قُبورُهُم
اصعَدوا إليها
حجريةٌ ملساء
فوقَ التَلِّ.
/
أهلُ الساحِل
أعمارُهم قليلة
وجُيوبُهم تصفُر
اسألوهم
«الإنسانُ لا يستحِقُّ أكثر»
هذا ما يتفاخرونَ به.
/
ولا يعشَقونَ نِساءَهم
كما تظُنُّون
نظَراتُهم تذوبُ في الماء
وأحذيتُهم أشرِعتُها دائِمًا
منفوخة.
/
أهلُ الساحِل
ذاكِرتُهم مريضة
وعُيونُهم زائغة
في الغُربةِ يعرِفونَ بعضَهم

من شِفاهِهِم المُقشَّبة
وأقدامِهِم المالحةِ الرطِبة.
/
وحيثُما أهلُ الساحِل
يتدجَّجونَ بالثيابِ
وينتظِرونَ
دَورَ الثلج
ليروا الدُنيا
بيضاءَ بيضاء
كما لَم يَحلُموا من قبل
قُلوبُهم تخونُهم
لأنَّ أهلَ الساحِل
أهلَ الساحِل
قُلوبُهم
قُلوبُهم
ليسَت لهم..

حوران— خربة أبو قريعة

بيكاسو في صَفِّ الآلهة

أخيرًا
يا بابلو بيكاسو
قد خرَجتَ البارِحة
من آخِرِ البُيوتِ ذاتِ النَوافذِ العريضة
الَّتي عِشتَ مُتنقِّلًا بينَها
مُلاحِقًا الضوءَ
حَسبَ تبدُّلِ الفصول
إلى بيتٍ مُعتِمٍ مُحتَّم
سوفَ لن تُغادِرَه.
/
وأنتَ تعلَم
مهما بدا لكَ المكانُ ضيِّقًا
فإنَّهُ وحدَهُ
الحُفرةُ الَّتي ستتَّسِعُ

لكُلِّ ما جَمعتَهُ من خِرضَةٍ ونِفاياتٍ
ستُحوِّلُها في فَترةِ ما بعدَ الغداء
إلى فَنٍّ
كما سيتَّسِعُ لكَ الوقتُ
لتأخُذَ كُلَّ وقتِكَ منَ الوقت.
/
يا بابلو بيكاسو
أخيرًا
قد رحَلتَ البارِحة
رَغمًا عنكَ
إلى حيثُ كُنتَ دائمًا
تُشيرُ لهُ بإصبَعِكَ
ثُمَّ ترفعُ قبضتَكَ في الهواءِ
مُتوعِّدًا
ونَحنُ نتساءَل
كيفَ ستسرِقُ لنا غدًا
نيرانَ الآلهة
بعدَ أن أمسَيتَ
وكأنَّكَ
واحِدٌ منها..

مدرسة الإشارة — حمص

رَجُلٌ ضَلَّ الطريقَ مِرارًا

إلى (و. ب. ييتس)

في الرابِعةِ والسبعين
بدا أشدَّ حيرةً
وأقلَّ إيمانًا بِما لا يُقاس
: «في التاسِعةَ عشَرة
كانَ علَيَّ ألَّا أفعلَ ذلك
أمَّا في الثلاثين
فقد كانَ علَيَّ ألَّا أفعلَ ذلكَ أيضًا...»
كانَ على عادتِهِ المرذولة
لَم يُقرِّر بعد
: «أُريدُ أن أعودَ للصِفر».
/

في الرابعةِ والسبعين
لا يُكلِّفُ المرءَ الكثيرَ منَ الوقت
أن يتماسَكَ
ولو فقط أمامَ حاسِديه
لكنَّهُ بدا للجميعِ أقلَّ حجمًا
وأشدَّ إثارةً للشَّفقة
ومن جديد
كانَ بوُدِّهِ لو ينسى:
«كُلُّ ما فعلتُهُ في حياتي
حماقاتٌ مُتكرِّرة».
/
في الرابعةِ والسبعين
كرَّسَ مجدَه
فاشِلًا خالدًا
ما بناهُ عاليًا في السِنينَ الأخيرة
ألقى بنفسِهِ منهُ
كما فعلَ تمامًا
بِما بناهُ عاليًا في السِنينَ الماضية.
/
رَجُلٌ ضلَّ الطريقَ مِرارًا
فوصَلَ إلى
قلبي..

تَواريخ

1973/11/26

لا يَحتاجُ الواحِدُ منَّا
سِوى أن يَمُرَّ بلسانِهِ الرَّطِبِ على شفتَيهِ
أكثرَ من مرَّةٍ وأقلَّ من مرَّتَين
ليركُلَ الصمت
ويُحدِّثَ مَن حولَهُ بسُخريةٍ وعُمق
عن مِئاتِ المآسي والمجازِر
حصَلَت في الغالب
نتيجةَ رداءةِ الطَقس
وصُعوبةِ التفاهُم
وهوَ يُشيرُ برأسِهِ وإحدى قدميه
إلى ما لا يُمكِنُ إحصاؤهُ
من جُثثِ عُلَبِ السَّردينِ الفارِغة
الَّتي تأتي لهُ بأفكارٍ كئيبةٍ ومُشوَّشة
عن هذهِ الشُعوبِ الخرساء
...
«حينَ أطاحوا برُؤوسِها
واستبدلوا لها بالمُحيطِ الزَّيت
لا ريب فقَدَتِ الذاكِرة»..

تسيل — حوران

1973/11/28

سمَحَت لي ظُروفٌ لا أُحسدُ عليها
تَجرِبةَ جَميعِ ضُروبِ الأبقارِ المُعلَّبة
راقت لي واحِدة
...
الهولَنديةَ المُرقَّعة
ماذا تفعلُ هنا في الشَّرق
برُموشِها البيضِ السامَّة
وعَقربةِ غُرَّتِها الطائرة.
/
تُغيظُ الوطنيِّين
بِحنينِها الزائد
وخلاعتِها الطبيعيَّة..

تسيل — حوران

1973/11/29

ليكُن عَشاؤنا الأخير
هذا الصباح
بيضًا فاسِدًا
وحُروبًا مُغمَّسةً بالشاي
وأفكارًا معلَّبةً ستغدو جاهِزة
بقليلٍ منَ المِلحِ والعاطِفة.
/
ليكُن شَرابُنا
شَعرَ المسيحِ السابل
وفاكِهتُنا
مريَمَ المجدليَة
وذِكرياتِنا التافِهة
ونَحنُ نغسِلُ أيدينا منها بأنانية
ونمسحُ الطاوِلة
بالأبطال
والنُجوم
والأغانيَ البذيئة..

تسيل — حوران

1973/12/7

بالشَّتائمِ وال د. د. ت
تساقطَت نُجومُهم
البلهاءُ الباهِتة
آمالًا خائبة
وسعَلَ قمرُهمُ المسلول
وهوَ يُدخِّنُ التَّبغَ الرَطِب
وينفُخُ الغُيومَ السود.
/
آثارُ أقدامِهم
المثقوبةِ بالوِراثة
تخُطُّ على صفَحاتِ التاريخ
احتِفالاتٍ صاخِبة
همُ الَّذينَ نجحوا في إيقافِ عجَلةِ الرَب
وذلكَ بالاكتِفاءِ بالقُبَل
أو الإدمانِ على حُبوب
منعِ الحَمل..

تسيل — حوران

1973/12/8

حصَلَ هذا مرَّة
في بِلادٍ تسكنُ هنا وهناك
ومن قُرونٍ طويلة
صُنِعَ منها ما لا يُحصى
من الأبواقِ الجهيرةِ
ومقابِضِ السَّكاكين.
/

كصُخورٍ كبيرةٍ تتربَّعُ فوقَ الجِسر
وجُدرانٍ عاليةٍ تسُدُّ الدَرب:
«ممنوعٌ التَّصوير ومُرورُ الأحذيةِ ذاتِ النيَّاتِ الطَيِّبة»
خُطاهم على الأرضِ تقودُ القطيع
وأُنوفُهم في الطَقس
تسيلُ على الخرائط
وتَحرُسُ العُشب
يُخبِرونَكَ بهذا ولا يَجِدونَ
تناقُضًا.
/
اسمَعوا...
أنغامُ الناي
المصنوعِ من القصَب
أو عَظمةِ الفَخذ
أو البلاستيكِ الأصفر
صادِقةٌ صادِقةٌ
لكنَّها
سهلةُ العزف!
فاحذَروا الرُعيان
حصَلَ هذا مرَّات..

حوران— خربة أبو قريعة

1973/12/9

في مِهرجاناتِ الحقِّ والصَواب
تسمعُهم يُعبِّرونَ بدِقَّةٍ وصوتٍ مُرتفِع
دونَ مشقَّةٍ تُذكَر
وذاكَ بِحُكمِ مقاعِدِهِم الدَوَّارة
وألسِنتِهِم الَّتي يقُدُّونَ منها
أحذيتَهم المَطاطيَّة.
/
هؤلاء... بقليلٍ منهم
تستطيعُ أن تُنشِئَ مِدجنة
لكنَّكَ لن تفوزَ في النِهاية
سِوى بنَهاراتٍ يُمزِّقُها صياحُ الديكة
وأرضٍ مفروشةٍ بالرائحةِ النَّتِنة
لذا
اقتُلهم بِحيطانِ أُذُنَيك
هذِهِ نصيحتي..

تسيل — حوران

1973/12/20

ثلاثةُ مُثلَّثاتٍ منَ الجُبنِ الأصفر
ومِعطفٌ خاكيٌّ ثقيل
أفضلُ من ثروة
باكِرًا باكِرًا في كانون.
/
استيقِظوا استيقِظوا يا فِتيان
بقيَّةُ أحلامِكم تُكمِلونَها غدًا
احشوا رُؤوسَكم الحليقة
داخلَ خوذاتِكم البارِدة

وهيِّئوا ما عندَكم من بنادِق.

/

احذَروا اليومَ يا فِتيان

وافتحوا جيِّدًا

عُيونَكم وآذانَكم.

/

يَمُرُّ النهارُ وليسَ سِوى الغُيوم

ورُبَّما يَمُرُّ النهار

ويا لها من حياةٍ قصيرة

بكِلا الحالَتين

على الفِتيانِ أن يتذمَّروا.

/

أمَّا مَن خرَجَ مُنذُ الصباح

بِمِعطفٍ خاكيٍّ ثقيل

قالَ عنهُ

إنَّهُ أفضلُ من ثروة

باكِرًا باكِرًا في كانون

مهما كانتِ النتائج

فقد أتَمَّ ما عليه..

حوران— خربة أبو قريعة

1973/12/26

صرَفتُ سهرةَ عيدِ الميلاد
وحيدًا على الموجةِ المُتوسّطة
بدعوةِ ثلاثةِ شُبَّانٍ عَرب
أبدلوا عن قَصد
بشِفاهِهِمُ الصُفر
رِقابًا معروقةً ضاحِكة
تضمنُ السعادةَ للجميع.
/
«مِثلي...
لا أحدَ يَمتلِك
كُلَّ ما يتمنَّى»..

تسيل — حوران

1973/12/26

فوقَ إشاعاتِ الحرب
تمدَّدتُ كما يفعلُ الآخرون
ساهمًا
أرسلُ نظراتي إلى لا شيء
أحاولُ أن أُدرِك
لِمَ لا يُبطِلُ هذا العالَمُ عاداتِه
وكيفَ حينَ تذهبُ دونَ أن تعود
...
تعود.
/
«علَيَّ أن لا أُبالي
مِثلُ ذلكَ الأيلِ الأسود
الَّذي لم يُحرِّك ساكِنًا
فوقَ نَصلِ إحدى أنواعِ السكاكينِ الألمانيَّة
وهيَ تزرُبُ
دمًا»..

تسيل – حوران

المقاطِعُ الخَمسة

«رُبَّما الوَحدةُ هيَ السَّبب، كما كانَ الآخرونَ فيما مضى»

(المَقطعُ الأوَّل)

إذا تغاضَيتُ عن
المَجَلَّةِ الرَّخيصةِ المُصوَّرة
والمِذياعِ الياباني
وعُلبةِ المحارِمِ الورقيَّة
...
تِلكَ الأُمور
الَّتي لا يُحِبُّ الشِعرُ

التَدخُّلَ بِها.

/

لَبقيَ لَديَّ على المِنضدة
مِنفضةُ سجائرَ صدِئةٌ
لا أستعمِلُها مُطلقًا
ووِعاءٌ أُسطوانيٌّ طويل
منَ الألَمِنيوم
كانَ ذاتَ يوم
مُعبَّأً بالمِلحِ الفوَّار
أو بِمسحوقِ الحليبِ الجاف
وقد اعتمَرَ الآن
باقةً كبيرةً مُشوَّشة
من أزهارٍ
زرقاءَ
وحمراءَ
وبنفسجيَّة
لا رائحةَ لها.

/

تمامًا
تمامًا
كخليطِ ذِكرياتي الحاضِرة..

(المَقطعُ الثاني)

رُبَّما الوَحدةُ هيَ السَّبب
كما كانَ الآخرون
فيما مضى

لأن أُعيدَ التفكير
ثلاثَ مرَّاتٍ
على هذا النَحو
فأرتبِك
وأتناقض
لكنَّ الربيعَ قد حَلَّ هنا أيضًا
وكأنَّهَ جاءَ خِصَّيصًا
ليُشارِكَني
وَحدتي
وهكذا حينَ أخرُجُ إليهِ صباحًا قُرابةَ السادِسة
ليسَ لي أن أنظُرَ بعيدًا
وحيثُ تنتشي وتتمدَّد
حشائشُ لا أسماءَ لها
وتتلألأُ في عينَيَّ نِقاطُ الندى
على رُؤوسِ الأنصالِ الخُضرِ المُدبَّبة
أقِفُ عن السَيرِ قليلًا
لأُنصِتَ
إلى وُلوجِ الربيعِ
إلَيّ
وتفتُّحِ
زهرةِ
روحي
الصغيرة..

(المَقطعُ الثالث)

ساعتي المُصفرَّةُ القديمة
ما زالت تحوزُ
على رِضى الزَمَنِ ورِضائي
بآنٍ واحِد
فلقد علَّمَتني أخيرًا
أن أُفرّقَ بِجِدَّة
بينَ أُمورٍ لا فرقَ بينَها في النِهاية
كالحياةِ العريضة
والحياةِ المُستعصية
والزَنابِقِ المُدلَّلة
والأعشابِ الَّتي يرتديها الدَربُ
فتُبليها الأقدام
وأن أضعَ نُصبَ عينَيّ
ما لا أستطيعُ أن أرى
ويدايَ تلتقِطان
ثِمارَ الأشجارِ
المُتساقِطة..

(المَقطعُ الرابع)

فِي قلبِ كُلِّ شقيقةِ نُعمان
حُزنٌ أسوَد
وكما يقول أبي: «علينا أن نبكي
فقط تَحسُّرًا على حياتِنا القصيرة»
لكنِّي بدَوري كالجميع
قد اكتشفتُ أمرًا آخَرَ
يكادُ يُعادِلُهُ صَوابًا
وهوَ أنَّ منَ الحِكمةِ أيضًا
ألَّا أتلهى بهذا
وإلى حيثُ تستلقي بَهجتي على الأرض
أُريدُ لقدمَي أن تعرِفا الطريق
وروحي أن تقطُن
ولو
لبُرهةٍ خاطِفة..

(المَقطعُ الخامِس)

يبدو يسيرًا كُلُّ ما يبدو واضِحًا
ومنَ الكوةِ ذاتِها
الَّتي تُضيءُ لي كُلَّ ذلك
أرى أُفُقًا بارِدًا أبيضَ
يلمُسُ الكَتِف
ولا يعِدُ شيئًا
وأنا كما أُصدِّقُ حيادَهُ الأزلي
أعرِفُ نفسيَ عن قُرب
فلستُ الآنَ ما سأكونُهُ غدًا
وإن بقيَ كُلُّ ما لَدي
في مكانِه
ولن يبدو يسيرًا حينذاك
ما بدا للرجُلِ الآخَر
في غايةِ الوُضوح..

خربة القريعة — حوران

عُيونٌ شفَّافةٌ وسِخة

بالأسودِ فقط
عينٌ طويلةٌ سائلة
هنا في زاويةِ الإعلان
حيثُ تخفي الفتاةُ
النحيلة
بأصابِعِها العشرةِ
النحيلة

ابتسامتَها
النحيلة.
/
بالأزرقِ أيضًا
ترونَهُ واقِفًا بِجانِبِ
فُتحةِ مُحرِّكِ الطائرةِ النفَّاثة
وأمامَهُ عِشرونَ سببًا وجيهًا
لأن يرمي
كُلَّ ما لهُ
وكُلَّ ما عليه
ويُحلِّقُ إلى السُويد طائرًا
ولكن هذِهِ المرة
بعينٍ قصيرةٍ جاحِظة.
/
بالرَصاصِ
والفحم
والدَمِ
والأحجارِ
والأظافِر
عُيونٌ ضيِّقةٌ
وحادّة
ومُضيئةٌ
وواسِعةٌ
ومُغلقة
وأُخرى لا يُمكِنُ توقُّعُها

على جُذوعِ الأشجارِ البالية
وعلى ظُهورِ المقاعِد
وعلى الجُدرانِ
والأبوابِ
والنوافِذ
وعلى الشراشِفِ
والوسائد.
/
هنا وهناك
قريبًا
وبعيدًا
في كُلِّ مطرحِ
وفوقَ كُلِّ شيء
عُيونٌ
بلا أهدابٍ
وبلا جُفون
عيونٌ
شفَّافةٌ
وسِخة..

تسيل — حوران

الحياةُ لَهَا معنى... أحيانًا

غادرَ من عُمري الأمس
وللنَدمِ عليَّ دُيونٌ لن توَفى
أمَّا الغد
فأُقسِم...
سألقاهُ كما يَجِب.
/
قالت ليَ الحياةُ وحفِظت
ما اتَّسعَ لهُ كوبا أُذُنَي
ولَدى الحياةِ الكثيرُ مما تودُّ قولَهُ بعد
وهذا لا يعني بأيِّ حال

أن تبقى كِلتا عينَيَّ مُحملِقتَين
حتَّى وأنا آخُذُ فُرصتي
في عِناقِ السعادة.
/
على قدمَيَّ هاتَين
سأقومُ بالأمسِ الباقي
وعلى ظهري كيسُ ما رأيتُ وما سمِعت
تزرُبُ من ثُقوبِهِ حِكمتي.
/
وذلكَ ما أحسَبُ يُرضيني الآن
سأحيا حتَّى أموت
وأموتُ قبلَ أن
أو بعدَ أن
تتمكَّنَ منِّي أمراضي
إذ لا داعيَ للتحديد
لا داعيَ للتحديد
فالحياةُ لها معنى
أحيانًا
أمَّا الموت؟
...
والموتُ كذلك..

لا تَحِيَّةَ أيُّها الموتى

لا تَحيَّةَ أيُّها الموتى
لا رَياحين
فهذا لا يُجدي نفعًا
بقَدرِ ما
لا يَحتاجُهُ أحد.
/
لا صلاةَ أيُّها الموتى

العَبَراتُ ليسَ أوانُها
أنتَ يا آدم
وأنتِ يا حوَّاء
قايضتُما على السماءِ
بالتُّراب
وأنتَ يا جَلجامِش
بذَلتَ ما في وَسعِك
أمَّا أنتَ يا نوح
فكُلُّ ما تلا يعودُ
لحُسنِ تدبيرِك.
/
لا حَسَرات أيُّها الموتى
العَزاءُ ليسَ في مَحَلِّه
منكم مَن
سارَ للموتِ علِى قدمَيه
ومنكم مَن أناطَ بيدَيهِ
شرفَ ذلك.
/
فأنتُم أيُّها اليونان
قد جعلتُم منَ الموتِ
مِهرجانًا
وأنتَ يا سيِّدي المسيح
وعلى مرأىً منَ الجميع
كُنتَ تأمُرُ نفسَكَ

بنفسِك.

/

أيُّها الموتى

النُجومُ والحشائش

الأساطيرُ والدُخان

الأهراماتُ والأغاني

صَيحاتُكم تُدَوِّي في حُلوقِنا

وغُبارُكم فوقَ وُجوهِنا وبينَ أسنانِنا

تُثيرونَ كُلَّ هذا الصخب

وأنتُم على صمتِكم

مُستلقونَ على ظُهورِكم

تشغَلونَ الدُهورَ وتشغَلونَنا

أحياءٌ بنا

أسماؤكم أسماؤنا

ونظَراتُكم نظَراتُنا

وتتبادلونَ الذِكريات

بدِمائنا.

/

أيُّها الموتى

لا قُبور..

تلكَ الأوهامُ لا تموت

ها هوَ فجرُ جَبيني
يطلَعُ على ليلِ شَعري
بعدَ الثلاثين
سأُغطِّي رأسيَ الصغيرَ بقُبَّعة
ولن أدعَ الناسَ يُحدِّقونَ طويلًا
بصَلعتي
سأُلهيهم بعينَيَّ وفمي.
/
بِهذَينِ الشاربَين
فالشَوارِبُ خالدة

سأبتسِم
فمي كبيرٌ وأنا فخورٌ بهِ
وابتِسامتي
- يقولون -
ساحِرة.
/
أشياءُ كثيرةٌ تافِهةٌ
سأقومُ بها
وأشياءُ كثيرةٌ عظيمةٌ
سأتقاعسُ عنها
سأغفو هكذا على مقعدي
أصابعي مغموسةٌ بالألوان
وتَحتَ جَفنَي
سيركُ الذِكريات.
/
سَيبقى هُناكَ مَن يَحلُمُ بي
وأنا أنظُرُ بهذهِ الطريقة
وأتكلَّمُ على هذا النَحو
تلكَ الأوهام
لا تموت..

دمشق

مُحمَّد وإبراهيم ومُصطفى

كانَ لا بُدَّ حينًا
أن أتظاهرَ بالنِسيان
وأُغلِقَ بابي علَيّ
لألتفِتَ إلى وجهي
وأرى ما كانت تعنيهِ لي
السِنونَ تِلكَ الَّتي ولَّت.
/
وإن بدا الآنَ كُلُّ ما قُمتُ به
وكُلُّ ما عُرِفَ عنّي
وكأنَّهُ ثَمَرةُ وَحدَتي وتفرُّدي
خليلتي وتاجي
فيومًا ما كُنتُ وحيدًا في ذاتي
وذاكَ الَّذي أصغيتُ إليهِ طويلًا

برُوحي
ما كانَ مُنذُ البَدء
سِوى صُعودِكم في نُسغي
وتدفُّقِكم في دمي
ويومًا لن أُمسيَ رَجُلًا آخَر
لا ترونَ على جَبينِهِ ذاتَ التَجاعيد
ودونَ ذاتِ الدُملةِ
في القلب.
/
كانَ لا بُدَّ حينًا
أن أتظاهرَ بأنِّي تذكَّرتُ شيئًا ما
وأبتعِدَ ولو قليلًا
لأُجرِّبَ حقيقتي
وإن راحَ يبدو الآن
كُلُّ ما أصنَعُه
وكُلُّ ما يُسمَعُ عنِّي
وكأنَّهُ ثَمَرةُ بُعديَ واختِلافي
عينَيَّ وصوتي
فلستُ في النِهاية
يا مُحمَّد وإبراهيم ومُصطفى
سِوى
عودٍ منَ الحُزمة..

جَوَّاب

إلى (ماهر مصري) يومَ عادَ بالطائرة، حافيَ القدَمين، منَ الـ(هِند) إلى (سوريا)، على نفقةِ السفارةِ السوريَّة في (نيودلهي).

جَوَّاب
ثيابٌ من خُيوطٍ مُركَّبة
لا تُجعَك
وحقيبةٌ مشدودةٌ كالسَرجِ على الظَهر
وأفكارٌ تلهو بالرأس.
/

جَوَّاب
تَراكَ حيثُما حللتَ
مُحاطًا بِمَن لا يعرِفونَكَ
إلَّا بالعَينَينِ
والفَمِ
والأَنف
عندَ ذاك ليسمَعوا منكَ
ما لَم تستَطِع ادِّعاءَهُ من قبل
وليروكَ
كما حلَمت.
/
جَوَّاب
لكَ في كُلِّ مدينةٍ
شوارِعُ ومقاهٍ
وفي كُلِّ سماءٍ
نُجومٌ وأقمار
ولكَ أن تتباهى
وَسِعَكَ بيتُكَ
حينَ قطَنتَ الكون
وإنَّكَ حينَ خسِرتَ كُلَّ ما لَديك
ربِحتَ
رُوحَ كُلِّ شيء.
/
جَوَّاب
ما دُمتَ على قدمَيك

عليكَ أن تمضي
ما دُمتَ في عينَيك
عليكَ أن ترى
ما دامَ لكَ قلب
عليكَ أن
تُدَ
حرِ
جَه.
/
بلدٌ جديدٌ
رَجُلٌ جديدٌ أنتَ
بلدٌ آخَرُ
رَجُلٌ آخَرُ أنتَ
هكذا تولدُ مرَّةً
وتَحيا مرَّات
فإن شعَرتَ بغَصَّةِ الموت
فذاكَ كانَ اختيارَك
أنتَ قُلتَ
ثُمَّ قُل:
«هكذا خُلِقت»..

(فيكتور) ذو الأَنفِ الأحمر

لَم يَمضِ أكثرُ من دقيقتَين
وها نَحنُ صديقان
أيُّها البَحارُ فيكتور
ذو العينَينِ البحريَّتَينِ
والأَنفِ الأحمر.
/
كلّا لستُ أرمَنِيًّا
أنا عَربيٌّ
أُوافِق... أُوافِق
بالطَبعِ لا يوجَدُ فَرق.
/
لعَنَ اللّهُ اللُغات
أُنظُر ماذا تصنعُ منَّا
حسنًا أنا لَديَّ أصابِعي
وأنتَ قد أخرجتَ للتَوِّ
كُتيِّبًا صغيرًا من جيبِ قميصِك.
/

«اسمي (مُنذِر)
عُمري سبعٌ وعِشرونَ سنةً وما زِلتُ عازِبًا»
كم ولدًا عندي!؟
: «اثنان... ثلاثة... على ما أذكُر... لا أكثر»
يا لها من أسنانٍ بيضاء
يا لها من ضِحكةٍ أُمَميَّة.
/
هنا أسكُن
ما رأيُكَ لو ترى ما ألصقتُهُ البارِحة
على زُجاجِ نافِذتي
وستُقدِّمُ عَمَّتي لنا كُوبَينِ كبيرينِ منَ اللَيموناَدةِ المُثلَّجة
أهلًا وسهلًا أهلًا وسهلًا.
/
هذا (كارل ماركس) في جلسةٍ عائليَّة
وهذا (فلاديمير إيليتش لينين)
إنَّهُ يبدو آسيويًّا
وهذا أنا
صورةٌ جَميلةٌ وجديدة
يطيبُ لي حقًّا أن تحتفِظَ بِها
يا رفيق..

طرطوس

حظٌّ سَيِّئٌ كحظِّنا يكفي

حظٌّ سَيِّئٌ كحظِّنا
يكفي
لنجتمِعَ قريبًا على مُستوى
أصدِقاء - فوقَ العادة -
كُلُّ خِلافاتِنا المُتأَصِّلةِ
لا تزيدُ عن
اهتِماماتِنا الهامِشيَّة
ثلاثةُ أسماءٍ أو أربعة

سنكتُبُها بِخطٍّ سريعٍ
فوقَ بعضِها.
/
حظٌّ سيِّئٌ كحظِّنا
يكفي
لأُفاجِئَكَ وأنتَ
ما زِلتَ نائمًا
أو لنتَّفِقَ
بغُموضٍ على الهاتِف
أو لتَندَهوا علَيَّ
من أوَّلِ الشارِع
وسنقضي على النهارِ بأكملِه
نتلهى بأقدامِنا
نتكومُ على الواجِهات
كِعابُ أحذيتِنا
تدوسُ رُؤوسَها
تتعبُ قُلوبُنا
ولا يُعجِبُنا شيء.
/
حظٌّ سيِّئٌ كحظِّنا
يكفي
لنخرُجَ للشُرفةِ الضيِّقةِ
جَميعًا دفعةً واحِدة
لكُلٍّ منَّا لونُه

ولكُلٍّ منَّا رائحتُه
وحينَ نُحيطُ خُصورَنا بأذرُعِنا
نبدو حقًّا
باقةَ زُهورٍ مُريبة.
/
وفي الغُرفةِ ذاتِها
خِلافًا لآرائِنا السابقة
سنشربُ
ما يتوفَّرُ لنا
لنتبارى
في اختِراعِ الأنخاب
وكسرِ الكُؤوسِ ببعضِها
إكرامًا
لنزواتِنا المُتواضِعة
في أن نكونَ أشدَّ ضجيجًا
منَ الموسيقى الصاخبة
ونَحنُ نصنعُ بأنفُسِنا
مزيدًا
منَ
الذِكريات..

قصائدُ الحُجرة

(أفكاري لونان)

حُزني قليلٌ هذا المساء
ولا أجِدُ ما يدفعُني للتَّحَدُّثِ عنه.
/
كثيرًا ما أفعل
أحشو عيدانَ أصابِعي في جيبَي بِنطالي
وأدعُها تسرَحُ بعيدًا عنّي
خِرافي وماعِزي.
/
أفكاري لونان
بيضاءُ تقريبًا
وأُخرى سوداءُ تمامًا
وكُلُّها
أستطيعُ القول
نظيفة..

(الحياةُ ليست لأحد)

الحياةُ
ليست لأحد
الحياةُ
لذاتِها
في القُلوبِ المكتظَّة
في القلوبِ الوحيدة
تخفُق.
/
الحياةُ
شجَرة
القُلوبُ الفَجَّة
القُلوبُ الناضجة

القلوبُ المتساقطة
ثِمارُها.
/
الحياةُ
عربة
القلوبُ اللَّحميَّة
القلوبُ الخشبيَّة
القلوبُ المطَّاطيَّة
عَجَلاتُها.
/
الحياةُ
لا دربَ لها
على القُلوبِ الحجريَّة
على القُلوبِ الضيِّقة
على القُلوبِ النائية
على القُلوبِ المُغبَرَّة
على القُلوبِ المُلتوية
على القُلوبِ
الضائعة
...
تعبُر..

(سَبعةٌ وعِشرونَ خريفًا)

من يدي إلى النافِذة
التَجعُّداتُ تكسو المفاصِل
وكُلُّ أصابِعِ شجَرةِ المَوز
مُمزَّقة.
/
بُذورٌ راحَت نصيبًا للدَواري
وأغراسٌ تقاسمَتها الرياحُ
والحوافِر
والآن
لا أدري ماذا أخسَر.
/
ليسَ في الحُزنِ حِكمة
ولا في الكآبةِ ما أُحسَدُ عليه
عُمري سبعةٌ وعِشرونَ خريفًا
ولَم يأتِ
الصَيف..

(الأشجارُ السود)

أهِبُكم الأشجارَ السود
حدَقاتِ عينَي
بصَماتِ أصابِعي.
/
أهِبُكم الأشجارَ السود
بساتينَ روحي
تُفّاحَ كآبتي.
/
تصطفُّ أشجاري السود
على كَتِفِ الأُفُق
مغموسةً باللَيل
لا فَمَ لها ولا ساعِد
ويقِفُ وراءَها البحر
تَذكارَ
زُرقةٍ غابِرة..

(غابةُ الكلام)

أرى
جسدًا يفترِشُ دمَه
رأسًا يتوسَّدُ الغيبوبة
عُنُقًا تُشحذُ عليها مِدية
أسمعُ
صرخةَ طِفلٍ لَم يولَد بعد.
/
إلى غابةِ الكلام
هيَّا أيُّها القلبُ لنحتطِب
إنَّها تُعيدُكَ دافِئًا وحادًّا
أصداءُ الشَهقات..

(الصَوتُ المُضيء)

لأكُن الصَوتَ المُضيء
في روحِ المساء
مسيرةَ نَجم
أو
شِهابًا يتهاوى.
/
ألَم يُلمَسُ باليد
وألَم يَجِدُ طريقَهُ سالكًا
منَ العينَينِ إلى القلب.
/
لأكُن الصَوتَ المُضيء
في جسدِ اللَيل
شِهابًا يتهاوى
أو
مسيرةَ نَجم..

(أوراقُ الخريف)

أينَ وجدَّتَني مُمدَّدًا؟
نظيفًا وجافًّا
كانَ بِساطُ
أوراقِ الخريف.
/
قليلًا منَ النَومِ يا ساقان
قليلًا منَ النِسيانِ يا قلب
ورقة
ورقة
كانت تُدثِّرُني
أوراقُ الخريف.
/
نَهَضتُ ومضَيتُ ومضَيت
وبقيَ عالقًا على مِعطفي
ما لَم أستطِع نفضَهُ قَطُّ
من
أوراقِ الخريف..

(هكذا يشُقُّ نهرُ الحياة)

هكذا يشُقُّ نهرُ الحياةِ فيكَ
مجراه
هكذا تزدادُ عُمقًا.
/
هكذا يجرُفُ النَهرُ أحشاءَكَ
وقلبَكَ
وهكذا تزدادُ بُعدًا.
/
وهكذا يفيض
وهكذا يُغطِّيك
وهكذا تنمو عليكَ الحشائِش
وتطولُ بكَ
قامةُ الأشجار..

(فيِ حِضنِ البحر)

أجلسَتني الصُدفةُ
فيِ حِضنِ البحر
فلِتكُن إذن
ليلةً لا تُنسى
الأصدِقاءُ يُهمهِمون

وتُحاوِلُ الأمواجُ المُتلألئة
أن تحمِلَ لِي شُعاعًا
من مصابيحِ السُفُنِ البعيدة.
/
الحُلمُ والذاكِرة
لا النَبيذ
هما ما يُشعِلُ الرأس
فجأةً
رفعتُ عَقيرتي بالغِناء
وما لامَني أحد.
/
كانت
إذن
ليلةً لا تُنسى
سَمِعَني البعضُ أُغنّي
ولا شيءَ أكثر
لكنَّ الحُلمَ والذاكِرة
لا النَبيذ
هُما
ما أشعلَ
رأسي..

(إنَّها تُمطِرُ في العاشِرِ من حَزِيران)

إنَّها تُمطِرُ في العاشِرِ من حَزيران
وليسَ لكَ أن تسلو
ولو قليلًا
لتنظُرَ عَبرَ النافِذة
ويبدو عليكَ
بعضٌ منَ الدَهشة.
/
إنَّها تُمطِرُ في العاشِرِ من حَزيران
وماذا يُجدي ذلك
مع صَدرٍ مُطبَق
وقبضةٍ تشُدُّ على القلب.
/
كيفَ لكَ أن تغزِلَ خيطًا آخَر؟
كيفَ لكَ أن تنسُلَ خيطًا آخَر؟
إنَّها تُمطِرُ في العاشِرِ من حَزيران
وهذا
لا يدعوكَ لشيء..

طرطوس

(لا شيءَ أروع)

لا شيءَ أروع
من أن تقولَ وَداعًا
لنَجمٍ يُضيئُكَ
لامرأةٍ تُغنّيها
لحُلمٍ تُحيطُهُ بساعِدِك.
/
دونَ أن تُطيلَ النَظَر
دونَ أن تُغلِقَ ابتِسامتَكَ
دونَ أن تُخرِجَ إحدى راحتَيكَ
من
جَيبِ مِعطفِك..

(ما شعَرتُ بهِ ولا أُريدُ قولَه)

عَرَّجتُ اليومَ
في طريقي إلى عملي
على رصيفِ الميناءِ القديم
رأيتُ في غَباشةِ الصباح
سُفُنًا كثيرةً جاثِمة
وما كُنتُ أُفكِّرُ في شيء

لكنَّ ما شعَرتُ بهِ وأردتُ قولَهُ
هوَ أنِّي
لستُ على ظَهرِ
واحِدةٍ منها.
/
راقبتُ النَوارِسَ تومِضُ
وتُطلِقُ صيحاتِها
إنَّها غِربانٌ بيضاء
هذا ما كانت تعنيهِ لي دائِمًا
لكنَّ ما شعَرتُ بهِ وأردتُ قولَهُ
هوَ أنِّي
لستُ واحِدًا منها.
/
أدركَني الوقت
فأعطَيتُ البحرَ ظَهري
دونَ أن ألويَ على شيء
كثيرونَ مرُّوا بي
والبعضُ بادلَني التحيَّة
لكنَّ ما شعَرتُ بهِ ولا أُريدُ قولَهُ
هوَ أنِّي
لستُ واحِدًا منهم..

(رُتَيلاءٌ سوداءُ صغيرة)

بِحَذَرٍ تهبِطُ رُتَيلاءٌ سوداءُ صغيرة
بثَمانِ أرجُلٍ كما توقَّعتُ
على حافَّةِ النافِذة
فوقَ كَتِفي.
/
برأسِ قلمي عابِثًا اعترضتُ سبيلَها
وجَمَت لحظةً ثُمَّ راوغَت قليلًا
ثُمَّ قفَزَت مُتِمَّةً هُبوطَها الأخير
إلى الأرض
قُربَ حِذائي.
/
حينها
رفَعتُ ناظِري وأطلقتُهُ خارِجًا
حيثُ مُستطيلٌ من سماءٍ ضيِّقة
محشورٌ بينَ أجسامِ الأبنية
وما عُدتُ أذكُرُ
أيَّ أفكارٍ كانت تسلو عنِّي
قبلَ أن ألحظَها..

(الآن... أغلقتُ لتَوِّي كِتابًا)

ألصقتُ بِمُحاذاةِ صورةِ ستالين
صورةَ بابا هيمِنجويه
وهوَ ينحني مُبتسِمًا للموت
فوقَ جُثَّةِ ثورٍ إفريقي
أخرجَ لسانَه.
/
دَندَنتُ بلحنِ الكومبرسيتا
وأنا أُراقِبُ ثلاثةَ عُرجانٍ في مُقتبَلِ العُمر
صادفتُهمُ البارِحةَ يَخطُرونَ على الشاطِئ
بأيدٍ مُتشابِكة.
/
الآن
أغلقتُ لتَوِّي كِتابًا
ثُمَّ أطلقتُ تَنهيدة
وهذا يعني - بالنِسبةِ لي -
أنِّي لا أختلفُ كثيرًا
بِمُرورِ الأيام..

(لأنِّي أُريدُ أن أرى)

لأنِّي أُريدُ أن أرى - ما بوُسعيَ - الغد
أنظُرُ الآن
بِمِلءِ عينَي
صَوبَ السماءِ الزرقاءِ الكبيرة.
/
ولأنِّي مِثلُكَ أُريدُ أن أتساءَل
عَمَّ بوُسعِ هذا الأزرقِ العميق
أن يُخفي؟
أُجيبُ: غُيومًا سوداءَ جامِحة
وأمطارًا ثقيلةً قاسية.
/
فإن كانَ يَحلو لكَ
أن تعتبِرَ إجابتي رُموزًا
حينَها لن أكتفيَ بالوُقوفِ
طويلًا
خلفَ النافِذة
هكذا..

دمشق

(البُرتُقالة)

تبدأُ الحياةُ من إبْهامَيك
عندَ مُنتصفِ وأعلى البُرتُقالة
لحظةَ يُصيبُكَ في إحدى عينَيك
شيءٌ من رَذاذِها الكُحولي
وأنتَ تشطُرُها إلى فِلقتَين.
/
حَيًّا وبينَ يدَيك
فِلقَتا بُرتُقالة
لا سعادةَ أقصى أستطيعُ أن أرى
ولا سعادةَ أقصى لكَ أن ترومَها
فالحياةُ بالتحديد
هيَ ما سوفَ تعصِرُهُ بعدَ ذاك
بأسنانِك..

دمشق

(كما يليقُ برَجُلٍ مُتعَب)

ستصعَدُ وترمي جسدَكَ على السريرِ الآن
كما ينبغي على رجُلٍ مُتعَبٍ أن يفعل
وستجوبُ عيناكَ بُرهةً جُدرانَ غُرفتِك
وسوفَ تُغمِضُهما
كما يجِبُ على رجُلٍ مُتعَبٍ أن يفعل.
/
وبأيِّ حالٍ
لن تغفوَ
وهذهِ المرَّة
طويلًا سوفَ تجوبُ عيناكَ جُدرانَ غُرفتِك
كما يليقُ برجُلٍ مُتعَبٍ
أن يفعل..

دمشق

وجبةُ غداءِ اليوم

في البَدءِ لكَ أن تختار
ما بينَ سَلَطةِ الخَسِّ
المُسيلةِ للُعاب
وحَساءِ العَدَسِ الساخنِ
ذي الأبخِرة
الَّذي يفتحُ بابَ مَعِدتِكَ
ويُهيِّئُ جُدرانَها
لاستقبالِ طبقِنا الخاص
لوجبةِ غداءِ اليوم.
/

إنَّها جُثثُ الجُرذانِ المُجلَّدة
بذيولِها وأعضائِها الكامِلة
وبِما يُعادِلُ وزنَ ثلاثِمائةِ غرامٍ تقريبًا
مُغمَّسةً بِماءِ الثومِ والبَصَل
ومُشبعةً بالتَوابلِ والبَهارات.
/
توفَّرَت لَدينا
إثرَ أمطارِ ليلةِ البارِحة
الَّتي أغرقَت لحُسنِ حظِّنا جَميعًا
جُحورَها وأماكِنَ تَجمُّعاتِها
وقد خرجنا لقِطافِها
باكِرًا عندَ الفجر
مُباشرةً من حيثُ
توقَّفَت عن جرفِها السُيول
عندَ حافَّاتِ الأرصِفة
ونوافذِ الأقبية
وفُوَّهاتِ تصريفِ المجارير
رافعةً للأعلى
قوائمَها الحمراءَ الدَقيقة
ترتعِشُ وكأنَّها
ما زالت
حيَّة..

شارِبانِ منَ البَنَفسَج

إلى (عبد اللّه عبد)

الثالثةَ والأخيرة
صادفتُهُ بِها في القاعةِ الضيِّقة
المُخصَّصةِ لمُديريةِ الآثار
في الطابِقِ الأرضي لدارِ البلديَّة
وتكادُ لِفافةُ الأوراق
الَّتي كانت تحزُمُها بلُطف
أصابِعُهُ القاتِمة
أن تبدو ساطِعةً
«ليسَت أقاصيص» قالَ ضاحِكًا.
/
راحَ آنَذاكَ يدورُ ببُطء
حولَ بقايا تِمثالٍ روماني
لِمُحارِبٍ مازالَ مُحتفِظًا برأسِه

وقد راعَتهُ لدرجةٍ مُبالغٍ بِها
الدِقَّةُ المُتكلِّفةُ في إظهارِ التَفاصيل
وخاصَّة الاختِلافَ الطبيعي
في حجمِ الخُصيتَين.
/
أمَّا ما هَمَّني أنا أن أقول:
«تمامًا كالحقيقةِ يا عبدَ اللَّه
تمامًا كالحقيقة
مُلقاةً على ظَهرِها
وفاقدةَ الأطراف».
/
ضامِرًا وباديَ السُمرةِ كان
أشبهَ بقَرنِ خَرنوبٍ مُجفَّف
بشارِبَينِ رقيقَينِ منَ البنفسج
نعم
بشارِبَينِ رقيقَينِ منَ البنفسج
وهذا قد قيلَ مِرارًا
حتَّى كادَ يفقِدُ معناه
لكنَّ كُلَّ ما فعلَهُ
عندما مات
أكَّدَ صَوابَ ذلكَ
على نَحوٍ ما..

فِلَسطينِي وسودانِي والثالثُ مَغرِبِي

إلى (نُعمان كنفاني وعُمَر عبد السلام وعبد اللطيف عَوَّاد)

في النِصفِ الأخيرِ من دِراستي
اصطفَيتُ لنفسي
ثلاثةَ أصدقاءٍ عَرَب
(فِلَسطيني وسوداني والثالثُ
مَغرِبِي)
تشاركنا سويةً لعامَين

كُلَّ شيء
كُلَّ شيءٍ... تقريبًا
الطَعامَ والشَرابَ والأَسِرَّة
والصَديقات
ما عدا الآراء
كانَ على كُلٍّ منَّا
حِرصًا على الكمال
أن يَختلِف.
/
(عُمَر عبد السلام)
قصَبةُ سُكَّرٍ داكِنة
ببِزَّةٍ ذاتِ مُربَّعاتٍ بيضاءَ وسوداء
يرتديها صَيفًا وشِتاءً كاملةً
صامِتٌ ومُغلقٌ
إلَّا حينَ نُخرِجُهُ عن طَورِه
أو قُل
إلَّا حينَ نُخرِجُهُ من جِلدِه
بُركانٌ منَ التَجديفِ واللَعنات
وقد أضَعتُ عُنوانَه
وأكادُ الآنَ لا أذكُرُ وجهَه
غيرَ أنَّهُ لا فضلَ لي
أن أذكُرَ ما حَيِيت
كيفَ راحَ يُحاجِجُ اللَجنةَ الفاحِصة
في خاتِمةِ رِسالتِنا للتَّخرُّج
ورائحةُ خَمرةٍ قويةٍ فاسِدة

هيَ كُلُّ
ما يشتمُّونَهُ من كلماتِه!
/
أمَّا المَغربِيّ
فمِنَ الأفضلِ لو أُريكم صورتَه
كانَ لهُ رأسٌ كبيرةٌ
لا فائدةَ منها إلَّا عندَ المُناطحة
ولِحيةٌ رفيعةٌ كأفعى
تمرُقُ من تحتِ ذَقنِه
وكأنَّهُ أحدُ أحبارِ اليهود
كُنَّا نُناديهِ شاتِمين: «يا بربري»
فيُجيبُنا مُقهقِهًا وقد تقوَّسَ ظهرُه: «يا عَرَب»
وما كانَ لأحدٍ أن يُدرِكَ بدِقَّة
ما كانت تعنيهِ تلكَ الأصواتُ
حينما تخرُجُ من فمِه
بقَدرِ ما لَم يكُن لأحدٍ أن يُنكِرَ
مقدِرتَهُ بتلكَ الطَريقةِ المُبهمة
على الدِفاعِ عن وُجُهاتِ نَظَرِه
ففي وقتٍ واحِد
كانَ يروقُهُ مثلًا أن يتباهى
بأنَّهُ فَوضَويٌّ (برودوني)
وبأنَّ (كارل ماركس) خاتِمُ الفلاسِفة!
/
(نُعمان) نوعٌ آخَر

بأطرافٍ نمت على نَحوٍ مُستغرب
ولسانٍ بطولِ ساقَيهِ الاثنتَينِ معًا
لكنَّني ما كُنتُ أرى
في وجهِهِ الأصفرِ الناحِل
سِوى دمعتَينِ كانتا دائمًا
تملآن كُوَّتَي عينَيه
كانَ يُحِبُّ الغِناء
وكانَ يبدو جَميلًا حينَ يُغنّي
وفي كُلِّ مساء
عندما نجلِسُ لنتجادلَ ونَختلِف
أو في كُلِّ مساء
عندما نجلُسُ ولا شيءَ لَدينا
لنختلِفَ ونتجادلَ عليه
كانَ يصاحِبُ صوتَهُ الجَهوريَّ العريض
ترقرُقُ هاتينِ الدمعتَينِ طويلًا
ثُمَّ جرَيانُهما ببُطء
بِمُحاذاةِ أَنفِه.
/
بعدَ صيفِ /1971/
لَم ألتقِ بأيٍّ منَ الثَلاثة
كما لَم تصِلني منهم رِسالةٌ أو بِطاقةٌ بريد
رَغمَ قَسَمِهِم على ذلك
سمِعتُ أنَّ (عَوَّادة)
حصَلَ على (الماجِستير) في القاهِرة
ثُمَّ عادَ إلى المَغرِب

و(عُمَر عبدُ السَلام)
رُبَّما لا يعمَلُ شيئًا
ورُبَّما في إحدى زِنزاناتِ (أُمِّ دُرمان)
أمَّا (نُعمان)
فلقد وصلَتني عنهُ أخبارٌ مُتفرِّقة
من (كوبنهاجِن) ومُدُنٍ أُخرى
وقد تمكَّنتُ مرَّةً منَ التَعرُّفِ عليه
بنَظَّارتَينِ سوداوَينِ تخفيانِ
نِصفَ وجهِه
في صورةٍ بإحدى الصُحُف
لجِنازةٍ فَلِسطينيةٍ في (بَيروت).
/
ما زالَ حيًّا
هذا ما أعرِفُه
أمَّا أين؟
فهذا ما لا أستطيعُ حتَّى تخمينَه
لأنَّهُ كما يُقال:
«لا وطنَ لهُ حقًّا»..

الدَرس

إلى (مصطفى عنتابلي): «مَن منَّا كانَ
على صَواب؟ كِلانا كانَ يهذي بالحقّ».

ما يجعلُ الذاكِرةَ من دمٍ ولحم
هوَ أنتَ
تقضُمُ أوراقَ (الكينا) المُرَّة
وتدورُ بِها على أُنوفِنا
«أيامٌ بنفسِ المَذاقِ ستأتي
تذكَّروا هذا»
وليسَ بنفسِ الرائحة
كانَ عليكَ أن تزيد.
/

واليوم
يستطيعُ تَكرارَ ما قُلتَهُ
رَجُلٌ ليسَ لهُ عيناكَ
وليسَ لهُ خُطواتُك
فلقد خسِرنا الكثيرَ حقًّا
لكنَّ عِظامَنا باتَت أشدَّ غِلظةً
وظِلالَنا أشدَّ كثافة
وقد تعلَّمنا الحياة
واعتدناها في النِهاية
أخفيفةً كانت
كثِمارِ الجَوزِ الفارِغة
أم قاسيةً وبلا لُبٍّ
كالحَصى
فهيَ تحتَ أضراسِنا
سَواء.
/
أما سمِعتَ بأفعى نبَتَ لرأسِها
جسدٌ آخر
وشجَرةٍ خرَجَ لجِذعِها
رُؤوسٌ أُخرى
وبشرٍ آخَرين على هذا النَمَط
أو ذاك
إذن... الوقتُ لم يفُت
ورُبَّما غدًا أوانُ كُلِّ شيء

وهذا يكفي كُلًّا منَّا
أن يبقى على ما هوَ عليه
فما زالَ في قُلوبِنا
ما لا حياةَ لنا من دونِه.
/
مَن منَّا كانَ أشدَّ صَوابًا؟
ليسَ أنا
وليسَ أنت
كِلانا كانَ يهذي بالحقِّ
إنَّهُ فقط
ما جَمعنا بقبضاتِنا من هواء
وما لفَّ على أرجُلِنا
من دُروبٍ مَقطوعة
وما حزَمنا في رُؤوسِنا
من باقاتِ أمل
بدا وكأنَّهُ قَشٌّ ينتظِرُ النَّار
لكنَّهُ كانَ حطبًا
هذا ما أُريدُ قولَه
والآن
وأطرافُنا يُضيئُها الحريق
ألا يَحُقُّ لنا أن نُعيدَ
فتحَ حِسابِ تِلكَ الأحلام؟
ما دامَ يشُدُّ بنا ويأخُذُنا
ذاتُ الجُنونِ وذاتُ الحماسة
ما دامَت بِحَوزتِنا ذاتُ القُدرة

على الانتِظارِ
والضَجَر
وما دُمنا على ذاتِ العَناد
لأن نكونَ
سُعداء.
/
ما يجعلُ الذَّاكِرةَ من صَوَّانٍ
هوَ أنتَ
تقضُمُ سِنيَّ الأعمارِ المُرَّة
وتَحشوها في أُنوفِنا
ثُمَّ تقولُ ما تأكُل
وتبصقُ التَفاصيل
وغدًا لن يستطيعَ اجتِرارَ ما قُلتُهُ
رجُلٌ مِثلي
لهُ عينايَ وخُطواتي
فلقد كانَ لنا أن لا نَخسَرَ إلَّا
القليلَ حقًّا
وأن نُعلِّمَ الحياةَ بدَورِنا
درسًا..

بَيروت... جُثَّةٌ ترتدي ثَوبَ السَهرة

«إنَّها حياةٌ... تنسابُ وتتلوَّى ثُمَّ فجأةً تنكسِر»

في الرابِعة
عندَ تفتُّقِ صباحِ التاسِعَ عشرَ من حَزيران
وكأنِّي مازِلتُ أُتابِعُ حُلمًا
وجدتُني أُحملِقُ بتوجُّسٍ يُغالِبُهُ النُعاس
في زُجاجِ المقعدِ الخلفي
لسَحابةِ (تويوتا) بيضاء
تنسابُ وتتلوَّى
ثُمَّ فجأةً
تنكسِر
فوقَ طريقٍ ضيِّقةٍ لا تُطيقُ انفِكاكًا
عنِ الزُرقةِ العكِرة
للشاطئِ الصَخريِ الموحِش.

/

ثلاثٌ ثُمَّ اثنتان... ثُمَّ واحِدة
هكذا انقضَت
سِتٌّ سنواتٍ غيرُ منقوصة
على حَجِّنا الأخيرِ
أنا وأخي
تحمِلُنا إيماناتٌ غامِضة
إلى (بَيروت) صَيفَ عام /1972/
وقد حشَونا كُلَّ ما استطَعنا جَمعَهُ
من نُقودٍ ورقيةٍ صغيرةِ القيمة
في الجَيبِ الخلفي لبِنطالِ أخي
الجَيبُ الأُسطوري
الَّذي ما كانَ يكفيهِ ليمتلِئ
أقلُّ من ثلاثةِ أضعافِها
لكنَّها كانت كافيةً للتَسكُّعِ
في (الزَيتونةِ)
ثلاثةَ أرباعِ اللَيل
وفي (الحَمرا)
خَمسةَ أرباعِ النَهار
والنَومِ حينَ تقتضي الضُرورة
على مقاعِدِ مِنشيَّةِ الصَنايع
وفي صالاتِ السينِما ذاتِ العُروضِ المُتواصِلة
وذلكِ بانتِظارِ اللَيلةِ الثالثةِ
أو الرابِعة

لنقتسِمَ سريرًا ما
على سطحِ أحدِ الفنادِق
ولابتياعِنا أو قُل
تَبَضُّعِنا
فهي الكلِمةُ الأشدُّ دِقَّة
لعمليةٍ يَختلِطُ بها
دَفعُ كامِلِ القيمةِ أو نِصفِها أو
لا شيءَ منها
الكُتُبَ المحظورة
والمجلّاتِ الخليعة
وأُسطواناتِ الروكِ الصاخِبة
وسَراويلَ رُعاةِ البَقرِ الأمريكية
الّتي تبدو عندما نفلحُ في حَشرِ أفخاذِنا في فُتَحاتِها
أنّها قد قُدَّت من ذلكَ القُماشِ اللَعين
خِصِّيصًا لعَصرِ مؤخَّراتِنا
مُفصِّلةً بوقاحةٍ
قليلًا ما بالَينا بها
وكثيرًا ما صنعَتِ المُناسباتِ التاريخيَّة
لإطلاقِ الألقابِ المجيدة
كُوَمَ أعضائِنا التناسُليَّةِ
المُستثارة.
/
ثلاثٌ ثُمَّ اثنتانِ ثُمَّ واحِدة
هكذا انقضَت سنواتٌ لا معنى لتَعدادِها
يُخالُ لكَ بها أنَّ العالَم قد أدارَ قَفاه

دَورةً تكادُ تكتمِل
وأنَّهُ يقِفُ مُترنِّحًا على شَفيرِ كُلِّ شيء
كما يحُقُّ لكَ أن تخالَهُ
في الحقيقةِ
لَم يجِد ما يقومُ بهِ سِوى
أن يُبَدِّلَ بعضَ ألوانِه
وهوَ يئِنُّ زاحِفًا على بطنِهِ
مُجرجِرًا إرثَهُ
الأزليَّ
الثقيل.
/
وهذا على دلالتِهِ العميقةِ
لن يعني شيئًا في وقتٍ لاحِق
لأنَّ ما يتحكَّمُ بهِ هوَ
مِزاجاتُنا المُتقلِّبة
المُتوقِّفةُ بدَورِها على
فَوضى الطَقس
والأزَماتِ العاطِفيَّة
والتِهابِ المجاري البوليَّة
والتَعَب
وتساقُطِ الشَعر
والكثيرِ منَ المطبَّاتِ الحتميةِ المُفاجِئة
مِمَّا منَ التَفاهةِ ذِكرُه
وكُلُّ هذا على دلالتِهِ أيٍّ كانت

لا يعني شيئًا الآنَ أيضًا
لأنّي بعدَ النَظرِ إليهِ مرَّةً ثانية
أحسَبُ أنَّ الآخرينَ سيرونَ بهِ
صَفاقةً
يأبى الشِعرُ أن يُلقيَ عليها
بُردتَه
أو يُلصِقَ على مُؤَخِّرتِها
ذَيلَه.
/
غيرَ أنّي أعترِف
بأنَّ ما أُحسَدُ عليه
تلكَ الطريقةُ الَّتي تندفِعُ بِها
مُباشرةً إلى القلبِ
مطالِعُ قصائدي
كدُخولِ ثورٍ إلى الحَلبَة
أو اقتِحامِ بيتٍ برَكلِ البابِ بالقدم
قد تعذَّرَت علَيَّ مُنذُ البِداية
مُنذُ أن عبَرنا مِصطباتِ تجفيفِ المِلح
مُرورًا بِحُقولِ القَصَب
وطَرابلُس الَّتي لَم تكُن تستحِقُّ بنَظَرِنا
التَوقُّفَ بِها ولو للحظات
والقُرى الَّتي اندلقَت بُيوتُها على بطنِ الجبل
وتكوَّمَت عندَ أقدامِه
إلى مدخَلِ بَيروت الشَمالي
حيثُ حَطَّ بنا الرِحال

يا لهُ من مكان
وَسَطَ ساحةِ البُرج
فوقَ الميناءِ العُشبي المُحترِق
للساعةِ الأرضيةِ الكبيرةِ
ذاتِ الأرقامِ المُحطَّمة
والعقارِبِ الضائعة
يا لهُ من زمن
قُربَ نَصبِ الشُهداء
وقد باتوا يستحِقُّونَ التَسمية
بعدَ أن امتلأت بُطونُهم بالثُقوب
وبُتِرَت لهم سواعِدُ وأرجُلٌ
لَم تُجدِهِم نفعًا حتَّى
بالهَرَب
كُنتُ أُردِّدُ ما حاولتُ جاهِدًا
أن أبتدِئَ بهِ
شيئًا كما يُقال
تصهُرُ بهِ الأحاسيس
وتصُبُّها في قوالِبِ الكلمات
إلَّا أنِّي ارتدَيتُ في ذلكَ القَيظ
ثوبًا بليغًا لا يُحتمَل:
«لو رأيتُ وجهًا
لَقُلتُ حَسبيَ رأيتُ وجهَكِ
لكنَّكِ لستِ أنتِ
وإن سمِعتِني أُناديكِ باسمِكِ»

ثُمَّ لا أدري ما كانَ يدفعُني لأصيح:
«ليسَ رأسًا لا وجهَ له
بل جسدٌ دونَ رأس
جسدٌ ينهَشُهُ الجُذام»
وهوَ مرضٌ سماويٌّ لَعين
حفِظتُ اسمَهُ من الكِتابِ المُقدَّس
كانَ اللَّهُ في غابرِ الأزمان
يَمتحِنُ بهِ عِبادَهُ الصالحين
وخاصَّة مَن همُ الأشدُّ إيمانًا
حينَ تتساقطُ سُلاميَّاتُ أصابعِهِم
في طاساتِ الحَساء.
/
لكنَّ هذِهِ النَبرةَ الخَفيفة
الَّتي أتَحدَّثُ بِها عنها الآن
لن تُنسيَني:
«أبنيةَ الدُخانِ المُتَحجِّر
المُنتصِبةَ كشواهِدِ قُبورٍ عِملاقة
النَوافِذ
الَّتي يصرُخُ منها الظَلام
بأعلى صَوتِه
الرُكامَ الداكن
الَّذي ينتَفِخُ تحتَهُ الموتُ مُتملمِلًا
الأرصِفةَ الَّتي تجوسُها الحياة
بِحَذَر»
الأسى

الَّذي منَ الغباء
كما فعلتُ لتَوِّي
أن آتي مرَّتَين
وأقولَه.
/
كانتِ الليلةُ قد تجاوزَت مُنتصفَها
وأنا أقِفُ مُتَّكِئًا بِمِرفَقَي
على حافَّةِ شُرفةٍ عالية في (بَيت مِري)
وخلفي مَن كُنتُ بصُحبتِهِم
يَختِمونَ بالقَهقهات
مع آخِرِ أطباقِ العشاء
ما جاؤوا لأجلِه
أنا مَن جاءَ كصَدىً لنِداءٍ قديم
لأجلِ لا شيء
وكانت (بَيروت) مُستلقيةً أمامي
كأنَّ شيئًا لَم يكُن
أو كأنَّ ذلكَ السِحرَ الطاغي
يأبى أن يُفارِقَها
لا حدَّ لها سِوى مصابيحِ سُفُنٍ بعيدة
وأُفقٍ لا يُرى في البحر
ونُجومٍ وامِضةٍ
وقمرٍ مكسورٍ في السَماء
ولِحافٍ سميكٍ منَ الضَباب
يُغُطِّيها حينًا وكأنَّهُ يُريدُ

أن يُغمِضَ عُيونَها
فلا تلبَثُ يدٌ كبيرةٌ لا تُرى
أن تُمسِكَ بهِ من طرَفِهِ
وتشُدَّه
وكُنتُ رَغمَ ذُهولي
مازِلتُ أُفكِّرُ بتِلكَ القصيدةِ الَّتي
حدَّثتُكم عنها
فما كانَ منِّي
إلَّا أن همَسَتُ بصوتٍ مرتفِعٍ
تقصَّدتُ بهِ أن يسمَعَني
مَن وقَفَ حينَها بِجانِبِي:
...
«إنَّها جُثَّةٌ مُتلألئة
إنَّها جُثَّةٌ ترتدي
ثَوبَ السَهرة»..

بيروت — اللاذقيَّة

المحتوى

منذر مصري

شاعر ورسام سوري

ولد منذر شكيب مصري في اللاذقية في 27 أيار | مايو 1949. والده من مواليد مدينة طرابلس اللبنانية. حاز في العام 1971 إجازة في العلوم الاقتصادية من كلية العلوم الاقتصادية في حلب. وفي العام 1979 حاز دبلوم في الاقتصاد الاجتماعي (التخطيط الإقليمي) من وارسو في بولونيا.

بدأ مسيرته الأدبية بنشر قصائده في كراسات صغيرة كان يطبعها ويوزعها على أصدقائه، قبل أن تصدر مجموعاته الشعرية. وإلى جانب كتابة الشعر والمقالة، رسم لوحات تشكيلية، فأقام معارض فردية، ثم واصل حضوره عبر المعارض الجماعية والعروض الشعرية البصرية التي مزجت بين القصيدة والفن التشكيلي.

مثّل الشعر السوري في عدد من الأنطولوجيات العربية والعالمية، وأُدرجت نصوصه في مختارات شعرية دولية. شارك في مهرجانات وملتقيات شعرية وثقافية عربية ودولية في فرنسا وبريطانيا وتركيا والسويد ومصر وغيرها. تُرجمت مختارات من شعره إلى عدد من اللغات من الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية، مما أسهم في تعريف القارئ الأجنبي بتجربته الشعرية وترسيخ حضوره بوصفه أحد أبرز أصوات قصيدة النثر السورية المعاصرة.

صدر له

آمال شاقة (1978) شعر. (إصدار خاص ومحدود).

بشر وتواريخ وأمكنة (1979) شعر. (وزارة الثقافة السورية: دمشق).

أنذرتكِ بحمامة بيضاء (1984) شعر، مجموعة مشتركة مع الشاعرة مرام مصري والشاعر محمد سيدة. (وزارة الثقافة السورية: دمشق).

داكن (1989) شعر. (وزارة الثقافة السورية: دمشق). طُبع ثم أُتلف قبل توزيعه.

مزهرية على هيئة قبضة يد (1997) شعر. (رياض الريس للكتب والنشر: بيروت).

الشاي ليس بطيئًا (2004) شعر. (رياض الريس للكتب والنشر: بيروت).

الأعمال الشعرية، الجزء الأول (2006) شعر، ويضم المجموعات :*آمال شاقة*، *بشر وتواريخ وأمكنة*، *الحب يرى الكره أعمى*، *دعوة خاصة للجميع*، *دعوة عامة لشخص واحد*. (دار أميسا: دمشق).

من الصعب أن أبتكر صيفًا (2008) شعر. (رياض الريس للكتب والنشر: بيروت).

أنطلوجيا الشعر السوري (3): انعطافة السبعينات (2008) أنطولوجيا شعرية. (الأمانة العامة لاحتفالية دمشق: دمشق).

لأني لست شخصًا آخر (2010) مختارات شعرية. (الهيئة العامة لقصور الثقافة: القاهرة).

منذر مصري وشركاه (2011) شعر. (دار الغاوون: بيروت).

الصدى الذي أخطأ (2011) شعر. (دار أثر للنشر والتوزيع: الدمام).

داكن (2014) شعر. (دار أرواد: طرطوس).

لمن العالم وسير مشبوهة أخرى (2016) شعر. (دار نينوى: دمشق).

حقل الفخاري (2017) مسرح، أربع مسرحيات قصيرة. (دار ممدوح عدوان: دمشق).

مغلقة بسبب الإصلاحات (2017) مقالات. (منشورات بيت المواطن: دمشق/بيروت).

بولونيزات – منذريوس مصريام (2018) شعر. (دار التكوين: دمشق).

تجارب ناقصة (2019) شعر. (دار الأدهم: القاهرة).

محمد سيدة: الأعمال الشعرية (2019) تحقيق ودراسة. (دار التكوين: دمشق).
الأعمال الشعرية الكاملة (2023) شعر، ثلاثة أجزاء. (دار أثر للنشر والتوزيع: الدمام).

Poetry

إن أهمية «بشر وتواريخ وأمكنة» لا تعود إلى كونه واحدًا من أبرز دواوين قصيدة النثر العربية في سبعينيات القرن الماضي فحسب، بل إلى أنه قدم اقتراحًا مختلفًا لمعنى القصيدة نفسها.

فقد أعاد تعريف العلاقة بين اللغة واليومي، وبين الإنسان والتاريخ، وبين الحكاية والقصيدة، من غير أن يعلن ذلك في بيان نقدي أو مشروع نظري. لم يحتج منذر مصري إلى بيان يعلن قطيعته مع الشعر السائد في بداياته، فقد اكتفى بتقديم الكتاب. لم يبسّط القصيدة حتى تفقد الشعر، بل بسّط لغتها من غير أن يتخلى عن تعقيد الرؤية.

لم يكتب الحرب، بل كتب الإنسان الذي خرج منها. لم يستعر الشخصيات من التاريخ، بل أعاد إليها إنسانيتها الأولى. ولهذا ظل «بشر وتواريخ وأمكنة»، بعد أكثر من نصف قرن على كتابته، واحدًا من الكتب المؤسسة في قصيدة النثر العربية، لا لأنه سبق غيره زمنيًا، بل لأنه سبق كثيرًا من مجايليه فنيًا، وما يزال قادرًا على أن يُقرأ بوصفه عملًا حيًا يقترح للشعر أفقًا جديدًا، لا مجرد محطة من محطات تاريخه.

خلف علي الخلف

MONZER MASRI

PEOPLE, DATES & PLACES

Jidar
Culture & Publishing
9 781291 627213